منشئ المجلة
انطون الجميّل

الزهور

المدير المسؤول
امين تقي الدين

الجزء الثاني — ابريل (نيسان) ١٩١٢ — السنة الثالثة

الكهانة

اذا كان سعادة اسكندر عمون بك من مشاهير رجال القانون فهو ايضاً من كبار الكتاب العارفين آداب اللغة كل المعرفة . واذا كان اشتغالهُ بالقضاء فالمحاماة قد صرفهُ عن معالجة المواضيع الكتابية ، فان له في عهده الأول آثاراً ادبية تدل على تمكنهِ من صناعتي النظم والنثر . ولقد ظفرنا ببعض تلك الآثار وسننشرها بادئين بالفصل التالي وقد كتبهُ حضرته منذ نحوٍ من خمسٍ وعشرين سنة وهو مقتبس من موادٍ كثيرة كان سعادته قد اعتنى بجمعها واعدادها لوضع كتابٍ مطوَّل في تاريخ العرب قبل الاسلام :

الكَهانة في اللغة القضاء بالغيب . والكاهن هو الذي يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان ، ويدّعي معرفة الاسرار . وقد اختلف العلماء في وجه سبب الكهانة ؛ فمنهم من قال ان نفس الانسان اذا صفت وتغلَّبت على الجسم ، اطلعت على أسرار الطبيعة . ولذلك كان اكثر الكهّان معتلّي الاجسام ، بتغلب النفس فيهم على المادة ، كما اتصل بنا عن « شقٍّ » و « سطيحٍ » و « عمرانَ » وغيرهم من الكهان المشهورين .

ومنهم من قال : انَّ وجه سبب الكهانة من ألوحي الفلكيّ ؛ ولعلّ ذلك خاص بالمنجمين دون غيرهم من الكهان . ومنهم من قال : ان للكاهن تابعاً من الجنّ ، ورئياً يلقي اليهِ الاخبار . وهو القول المشهور عندهم ، المعتمد في الاسلام . وقد جاءَ في صحيح البخاري عن النبي : أن الملائكة تحدث في العنان (أي الغمام) بالأمر يكون في الارض فتسمع الشياطين الكلمة فتقرّها في أُذُن الكاهن ، كما تقرّ القارورة ، فيزيدون معها مائة كذبة . وقال الله في كتابه : يوحي بعضهم الى بعضٍ زخرفَ القول غروراً . وقال : وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم (الآية) . وقال الازهري : كانت الكهانة في العرب قبل مبعث رسول الله صلى الله عليهِ وسلم ؛ فلما بُعِثَ نبياً وحرست السماء بالشهب ، ومُنعت الجن والشياطين من استراق السمع والقائهِ الى الكهان ، بطل علم الكهانة . وقال الله في كتابه : وانّا لمسنا السماءَ فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً

وكان للكهانة في الجاهلية شأنٌ عظيم لشدة اعتقاد القوم بها . فكان الواحد منهم اذا ضلّت له ضالة ، أو سرِق له شيءٌ ، أو همّ بأمرٍ ذي بال أو أُصيب أحد من أهله بمرضٍ ، يذهب الى الكاهن فيستطلع منهُ ما يحبُّ الوقوف عليهِ من مكان الضالة ، أو محل السرقة ، أو مآل الامر ، أو دواء المريض . وكانوا يقصدون الكهان بنوع أخصّ لأجل تفسير الاحلام المؤثرة ، لأنهم كانوا يعتقدون انها نبأ روحاني عما سيقع لهم من الأمور الخطيرة في مستقبل الزمان . وكانوا يحترمون أقوال الكهان فيما يسألونهم عنه ، فلا يخالفون لهم رأياً . وكان الكهان يتوخون السجع

في كلامهم ، لانهُ أوقع في النفوس ، فيستصغون الى أقوالهم الاسماع ، ويستميلون بها القلوب . . . أقول : وربما كان الغرض الاول من التزام السجع ترك الكلام مبهماً غامضاً ، لانّ المتكلم اذا التزم في كلامهِ قافيةً ، سواء كان الكلام نظماً أو نثراً ، يباح له من الإبهام في أقواله ما لا يباح لغيره . وكل متكهن محتاجٌ الى ذلك الابهام

وقد اشتهر في الجاهلية عدد من الكهان ، أكثرهم في بلاد اليمن . فكان العرب يقصدونهم من أطراف البلاد لاستطلاع الغيب منهم في الأمور العظام ، غير معتمدين في ذلك على الكهان الذين بين ظهرانيهم . ثمَّ اذا صدَّقت الحوادث شيئاً من ظنونهم ، وصحَّ شيء من أقوالهم ، تناقلتِ الالسنةُ الخبر ، وزادت عليهِ الرواة من الحكايات المختلفة أضعاف أضعاف الحقيقة ، فتزداد بذلك شهرتهم . وربما نسبوا اليهم أموراً في أزمنة لم يكونوا موجودين فيها ، كما نسبوا الى سطيح الكاهن أنهُ أنذر باستيلاء الحبشة على اليمن قبل الاستيلاء بسبعين سنة . ثم أوّل رؤيا الموبذان بعد مولد النبي . ولذلك اقتضى الامر ان يجعلوا عمره نحواً من ثلثمائة سنة . وقد عنَّ لقوم أن يجعلوا مولدهُ قبل ظريفة الخبر كاهنة عمرو مزيقياء ، لكي تتفل هذه الكاهنة في فيهِ ، فينتقل اليهِ علمها ولذلك اضطروا أن يمدوا عمره الى ستة قرون أو اكثر

و « سطيح » هذا أشهر كهان الجاهلية . ثم يليه « شقّ » وكانا متعاصرين . وممن اشتهر قبلهما ظريفة الخبر كاهنة عمرو مزيقياء ملك اليمن الذي تفرقت الازد في عهده بسبب سيل العرم ؛ وعمران الكاهن أخو

عمرو المذكور؛ وعمران هو أوَّل من رأى في كهانته أن قومه سوف يمزَّقون كل ممزّق ، ويباعد بين أسفارهم . ثم رأت ظريفة في كهانتها نبأ السيل، فانذرت عمرواً . ومن الكهان الذين اشتهروا في آخر زمن الجاهلية سملقة وزوبعة وحارثة بنت جهينة وكاهنة باهلة وسديف بن هزماس ، وغيرهم ممن يضيق بنا المقام عن ذكر أخبارهم

ولنذكر هنا شيئاً من أخبار « سطيح » الكاهن على سبيل الانموذج والمثال ، لا سيما وأنهُ كان عند القوم بمنزلةٍ صيّرتهُ امام الكهانة ، فاصبحت أخباره جزءًا من تاريخ الكهانة نفسها

قالوا : هو ربيع بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب بن عدي ابن مازن بن غسان ، وسمي سطيحاً لعجزه عن القعود والقيام ، فكان أبداً منبسطاً منسطحاً على الارض ؛ ولما كان ذلك الرجل عجيباً عندهم في كهانتهِ، اقتضى الامر أن يكون كل شيء متعلق بهِ عجيباً أيضاً . فكما انهم زعموا ان شقاً كان نصف انسان ، له يد واحدة ورجل واحدة وعين واحدة ؛ كذلك زعموا انهُ لم يكن في جسم سطيح عظم سوى الجمجمة ؛ ولذلك كان يدرج سائر جسده كما يدرج الثوب . وقالوا ان الجمجمة نفسها كان يلين عظمها اذا لمست باليد وانهُ كان اذا غضب اشتدت أوصاله فينتصب قاعداً ويبقى كذلك الى ان تسكن سورة غضبه . وقد ذكرنا أقوالهم في طول عمرهِ . وقد زعموا انهُ خرج مع من خرج من اليمن في أيام سيل العرم ومات في أيام كسرى أنوشروان

وأوَّل ما تكهن بهِ سطيح انهُ كان نائماً مع اهلهِ في ليلة سهاكية

مظلمة ، فاذا هو قد زعق من بينهم ورنّ وتأوّه وقال : والضياء والشفق ، والظلام والغسق ، ليطرقنّكم ما طرق . قالوا : ما طرق يا سطيح . قال : ما طرق الاّ الأجلح ، حين سرى الليل البهيم الأفلح ، وولائم فيهِ دح . قالوا : وما علامة ذلك يا سطيح . قال : امر بسد النقرة ذو حبة في الوجرة وحرّة بعد حرّة ، في ليلة قرّة . فلم يكترثوا لقوله ، وتعاصفت مدود من أودية هنالك ، فجاءتهم في ليلة قرّة كما ذكر ، فساقت الانعام والمواشي وكادت تذهب بعامتهم

ومن اشهر ما يروى عن سطيح تأويله رؤيا ربيعة بن نصر ملك اليمن اذ أنذرَ باستيلاء الحبشة على بلاده . وذلك ان ربيعة رأى رؤيا هالته ، فلم يدع كاهناً ولا ساحراً ولا عائفاً ولا منجماً من اهل ملكه الاّ استدعاه اليه ، فلما اجتمعوا في داره قال لهم اني قد رأيت رؤيا هالتني وفظعت بها ، فأخبروني بها وبتأويلها . فقالوا قصَّها علينا نخبرك بتأويلها . قال اني ان اخبرتكم بها لم اطمئنّ الى خبركم عن تاويلها انه لا يعرف تأويلها الاّ من عرفها قبل ان اخبره بها . فقال له رجل منهم إن كان الملك يريد هذا فليبعث الى سطيح وشق اذ ليس احد اعلم منهما ، فهما يخبرانه بما سأل عنه . فبعث الملك اليهما . فقدم عليه سطيح قبل شق فقال له : اني قد رأيت رؤيا هالتني وفظعت بها فأخبرني بها فانك ان اصبتها اصبت تأويلها . قال : أفعلُ . حُمَمَه ، خرجت من ظلمه ، فوقعت بارض تَهمَه فأكلت منها كل ذات جمجمه . فقال له الملك : ما أخطأت منها شيئاً يا سطيح ، فما عندك في تأويلها ؟ فقال : أحلف بما بين الحرتين من حنَش ،

لينزلنّ ارضكم الحبش ، وليملكنّ ما بين أبين الى جرش . فقال له الملك وأبيك يا سطيح ، ان هذا لنا لغائظ موجع فمتى هو كائن أ في زماني ام بعده ؟ قال : لا بل بعده بحين ، اكثر من ستين او سبعين يمضين من السنين . قال : أ فيدوم ذلك من ملكهم ام ينقطع ؟ قال : بل ينقطع لبضع وسبعين من السنين ، ثم يقتلون ويخرجون منها هاربين . قال : ومن يلي ذلك من قتلهم واخراجهم ؟ قال : يليه أرِم ذي يزن ، يخرج عليهم من عدن ، فلا يترك منهم احداً باليمن . قال : أ فيدوم ذلك من سلطانه او ينقطع ، قال : بل ينقطع ، قال ومن يقطعه ؟ قال : نبي زكي يأتيه الوحي ، من قبل العلي . قال : وممن يكون هذا النبي ؟ قال : رجل من ولد غالب بن مالك بن فهر بن النضر ، يكون الملك في قومه الى آخر الدهر . قال وهل للدهر من آخر ؟ قال : نعم يوم يجمع فيه المحسنون ويشقى فيه المسيئون . قال أ حق ما تخبرني ؟ قال نعم والشفق والغسق والفلق اذا اتسق ان ما انبأتك به لحق . ثم قدم عليه شق فقال له كقوله لسطيح وكتم ما قال سطيح لينظر أيتفقان ام يختلفان قال نعم رأيت حممه نخرجت من ظلمه فوقعت بين روضة واكه فاكلت منها كل ذات نسمة . فلما قال له ذلك عرف انهما قد اتفقا وان قولهما واحد الاّ ان سطيحاً قال وقعت بارض تهمه ، فأكلت كل ذات جمجمه . وقال شق وقعت بين روضة واكمه فاكلت منها كل ذات نسمه . فقال له الملك ما اخطأت يا شق منها شيئاً فما عندك في تأويلها؟ قال احلف بما بين الحرتين من انسان لينزلنّ ارضكم السودان ، وليغلبن على كل طَفلة البنان وليملكن

ما بين أبين الى نجران . فقال له الملك وأبيك يا شق ان هذا لنا لغائظ موجع فمتى هو كائن أفي زماني ام بعده ؟ قال لا بل بعده بزمان ثم يستنقذكم منهم عظيم ذو شأن ويذيقهم اشدّ الهوان قال ومن هـذا العظيم الشأن قال غـلام ليس بدني ولا مدَن يخرج من بيت ذي يزن قال أفيدوم سلطانه ام ينقطع قال بل ينقطع برسول مرسل يأتي بالحق والعدل بين اهل الدين والفضل ، يكون الملك في قومه الى يوم الفصل . قال وما يوم ألفصل ؟ قال يوم تجزى فيه الولات تدعى فيه من السماء بدعوات يسمع منها الاحياء والاموات ويجمع فيه الناس ليوم الميقات؛ يكون فيه لمن اتقى الفوز والخيرات . قال أحق ما تقول ؟ قال اي ورب السماء والارض وما بينهما من رفع وخفض ان ما انبأتك لحق ما فيه أمض

وروى الأزهري باسناده عن مخزوم بن هانىء المخزومي عن أبيـهِ قال : لما كانت الليلة التي ولد فيها سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليهِ وسلم ارتجس ديوان كسرى وسقطت منهُ اربع عشرة شرفة وخمدت نار فارس ولم تخمد قبل ذلك مائة عام ، وغاضت بحيرة ساوة ورأى الموبذان ابلاً صعاباً تقود خيلاً عِراباً قد قطعت دِجلة وانتشرت في بلادها فلما اصبح كسرى أفزعهُ ما رأى فلبس تاجه وأخبر مرازبتـه بما رأى ، فورد عليهِ كتاب بخمود النار . فقال الموبذان وأنا رأيت في هذه الليلة وقصّ عليهِ رؤياه في الابل . فقال له وأي شيء يكون هذا ؟ قال حادث من ناحيـة العرب فبعث كسرى الى النعمان بن المنذر أن ابعث اليَّ برجل عالم ليخبرني عما أسأله . فوجه اليهِ بعبد المسيح بن عمرو بن نُفيلة الغساني ، فأخبرهُ بما

رأى فقال : علمُ هذا عنـد خالي سطيح قال : فأتهِ وسلهُ وأتني بجوابهِ . فقدم على سطيح وقد أشفى على الموت فأنشأ يقول :

أصمٌّ ام يسمع غطريف اليمن ... ام فادَ فازلمَّ بهِ شأو العنن ؟
يا فاصل الخطّة أعيت مَن ومَنْ ... أتاك شيخ الحيّ من آل سنَنْ
رسول قَيل العُجم يسري للوسَن ... وأُمه من آل ذئب بن حجَنْ
ابيضُ فضفاضُ الرداءِ والبدَن ... تجوب بي الأرضَ علنداةٌ شزَن
ترفعني وجناً وتهوى بي وجَنْ ... حتى أتى عاري الجآجي والقطَنْ
لا يرهب الرعدَ ولا ريبَ الزمن ... تلفُّهُ في الريح بوغاء الدمَنْ
كأنما حُثحِثَ من حضني ثكَنْ

قال . فلما سمع سطيح شعره رفع رأسه فقال : عبد المسيح على جمل مُسيح الى سطيح وقد أوفى على الضريح بعثك ملك بني ساسان لارتجاس الايوان، وخمود النيران ورؤيا الموبذان. رأى ابلاً صعاباً تقود خيلاً عراباً يا عبد المسيح اذا كثرت التلاوة وبُعث صاحب الهراوة وغاضت بحيرة ساوة ، فليست بابل للفرس مقاماً ، ولا الشام لسطيح شاماً ، يملك منهم ملوك وملكات على عـدد الشرفات ، وكل ما هو آتٍ آت . ثم قبض سطيح مكانه . فكان ذلك آخر ما تكهّن بهِ ونهض عبد المسيح الى راحلتهِ وهو يقول :

شمّرِ فانك ما عُمّرت شمّيرُ ... لا يفزعنّك تفريقٌ وتغييرُ
ان يمس ملك بني ساسان أفرطهم ... فان ذا الدهر اطوارٌ دهاريرُ
فربمـا ربمـا أضحوا بمنزلةٍ ... تخاف صولهم اسدٌ مهـاصيرُ
منهم اخو الصرح بهرام واخوتهم ... وهرمزانٌ وسابورٌ وسابورُ

والناس اولاد علاّتٍ فمن علموا أن قد أقلَّ فمهجورٌ ومحقورُ
وهم بنو الأم لمـا ان رأوا نشباً فذاك بالغيب محفوظٌ ومنصورُ
والخير والشرّ مقرونان في قَرَنٍ فالخير متّبعٌ والشرّ محذورُ

فلما قدم على كسرى اخبره بقول سطيح فقال كسرى : الى ان يملك منا اربعة عشر ملكاً تكون امور . فملك منهم عشرة في اربع سنين وملك الباقون الى زمن عثمان . وكان من أمر انقلاب دولتهم ما كان[١]

اسكندر عمون

نابوليون الأول وحرب روسيا

وضع الكونت لاون تولستوي، الكاتب الروسي المشهور ، كتاباً تحت عنوان « نابوليون وحرب روسيا » وصف فيهِ فظائع تلك الحرب الهائلة بأسلوبٍ انتقادي خطَّأ فيهِ مزاعم معظم المؤرخين الفرنسيس والروس الذين أسهبوا في الكلام على تلك الحرب ، وسفَّه آراءهم من مثل ايجاد مؤرخي الفرنسيس أعذاراً لعاهلهم تنصّلهُ من تبعة تلك الحملة التي هلكت فيها مئات الالوف من البشر ، وا نفقت في سبيلها القناطير المقنطرة من المال ، ومثل ادعاء مؤرخي الروس ان قيصرهم وقادة جيوشهِ تمكنوا بدهائهم من القاء الفرنسيس في تلك الورطة التي فغرت فاها وابتلعتهم . ولما كان تولستوي ينظر الى نابوليون بغير المقلة التي ينظر بها اليهِ السواد الأعظم من بني الطينة ، أحببنا ان ننقل لقراء « الزهور » الكرام الفصل الاخير من الكتاب المذكور وننشره لهم على علاتهِ ، فاسخين على صفحات هذه المجلة مجالاً لأقلامهم

(١) لهذا الفصل بقية سننشرها في الجزء الآتي مع فصولٍ اخرى كتبها عمون بك في مباحث شتى عن العرب قبل الاسلام كما أشرنا الى ذلك

لعلهم يتحفوننا بما يعنُّ لهم من الملاحظات في الموضوع الذي نحن في صدد الكلام عنهُ . قال تولستوي :

﴿ نابوليون واسكندر الأول ﴾

اذا جارينا المؤرخين في ان الرجال العظام يسيرون بالانسانية الى غايات معلومة ، وأن الموازنة الأوروباوية ، وانتشار الافكار الثورية ، وعمران البلدان وغير ذلك من الأغراض تتعلق بعظمة الدولتين الروسية والفرنساوية ، تعذَّر علينا والحالة هذه ان نفسِّر معاني الحوادث التاريخية دون ان نجعل للصدفة والدهاء شأناً فيها

ولو كانت الغاية من الحروب الأوروباوية التي شبت نيرانها في مفتتح هذا القرن (التاسع عشر) اعلاء شأن الدولة الروسية لكان من الممكن ادراك تلك الغاية بغير الحروب التي سبقتها وبغير تلك الغزوة

ولو كانت عظمة فرنسا هي الضالة المنشودة لكان من المستطاع اصابتها بغير الثورة والامبراطورية

ولو كان الغرض الذي يرمون اليهِ نشر الافكار الثورية لكانت الكتب أسهل منالاً له من الجنود

ولو كان رفع منار العمران هو الحاجة التي يطلبونها ، لسهل عليهم قضاؤها بذرائع أنجع من اهلاك عباد الله ونهب أشيائهم

ولماذا جرت الحوادث في هذا المجرى ، ولم تجرِ في غيره ؟

ان التاريخ يجيب ان الصدفة أوجدت الحالة ، فاستفاد منها الدهاء

ولكن ما هي « الصدفة » وما هو معنى لفظة « دهاء » ؟

ان كلمتي صـدفة ودهاء لا تعبّران عن شيء موجودٍ في الحقيقة . وهذا هو السبب الذي يجعل تحديدهما متعذّراً

فهما لا تدلاَّن الاَّ على طريقة واحدة يستعان بها على ادراك حقائق الأمور . اني أجهل مثلاً سبب هذا الحادث ، ويجري في وهمي اني أعجز عن فهمهِ ، ومن جراء ذلك لا اعالج الوقوف على كنههِ ، فأقول ان الصدفة هي التي أوجدتهُ

اني أرى قوةً تنتج عملاً لا ينطبق على صفات البشر المألوفة ، وحين تصعب عليَّ معرفة سبب تلك القوة ، أقول ان هذا ضرب من ضروب الدهاء

ان الخروف الذي يضعهُ الراعي كل مساء في حظيرة خصوصية ، ويقدّم له طعاماً زائداً ، يفوق من جراء ذلك رفاقهُ في السمن ، ويبين لأولئك الرفاق انَّ في أمرهِ شيئاً من الدهاء ، على ان الحقيقة هي ان ذلك الخروف ، بدلاً من ان يدخل كل مساء الحظيرة العمومية مع رفاقهِ يفرز في حظيرة خاصة يقدّم له فيها العلف . وحين يسمن ذلك الخروف ، ينحر ويباع للجزار ، فيؤثر ذلك الأمر في باقي الغنم ، ويبين لها انهُ نتيجة من نتائج الدهاء المقرون بسلسلة من سلاسل الصدف الغريبة

ولو لم تعد الغنم تعتقد ان كل ما يجري يرمى بهِ الى غاياتٍ تتعلق بها دون سواها ، ولو زعمت ان الحوادث الطارئة تجري الى غاياتٍ تجهل حقيقتها ، لتجلت لها للحال وحدةٌ في العمل ، وتعاقب منطيقي في كل ما يطرأ على الخروف الذي يُسمَّن

ان الغنم وان لم تكن تدرك الغاية من تسمينهِ ، تدرك انهُ لم يحدث

شيء من الذي حدث للخروف من باب البداهة ، ولا تحتاج الى تفسير معناه الى الالتجاء الى الصدفة أو الى الدهاء . اننا لا نكتشف في حياة الاشخاص المذكورين في التاريخ تعاقباً منطيقياً للحوادث التي تقتضيها الضرورة الآحين نعرض عن معرفة غاية الاشياء الاخيرة باعترافنا ان فهمنا يقصر عن الوصول اليها . فحينئذٍ يتجلى لنا سبب التفاوت بين أعمالهم ومقدرة الاشخاص العاديين ولا نعود محتاجين البتة الى الاعتقاد بكلمتي صدفة ودهاء . وبناء عليهِ نقول انهُ يكفينا أن نعتقد انا نجهل الفرض من حركات الشعب الاوروباوي وانا لا نعلم الآ الحوادث الناشئة عن المجازر التي جرت في فرنسا وبروسيا والنمسا وروسيا وان الداعي لتلك الحوادث هو زحف الشعوب الغربية على الشعوب الشرقيــة وبالعكس أي زحف الشعوب الشرقيــة على الشعوب الغربية . وحسبنا الاعتقاد بهذه الأمور حتى لا نعود نجد شيئاً من الدهاء والشذوذ في صفات نابوليون واسكندر الاول ولا نعود نعتبر ذينك العــاهلين الآ رجلين مثل سائر الرجال ولا نعود فقط محتاجين الى ان نفسر بالصدفة معنى الحوادث الصغيرة التي صيرت ذينك الرجلين في الحالة التي كانا عليهــا بل يتضح لنا بجلاء ان تلك الحوادث الصغيرة لم يكن بدٌّ منها

وحين نهمل امر المسير الى الغاية النهائية ندري انهُ كما يتعذر وجود ازهار وبذور لنبات من النباتات غير الازهار والبذور التي له، يتعذر وجود شخصين من الاشخاص الذين ينوه عنهم التاريخ يستطيعان على مثال الاسكندر الاول ونابوليون من مفتتح حياتهما الى مختتمها ان ينهضا كل

النهوض باعباء المهمة الملقاة مقاليدها اليهما

ان السبب الاصلي للحوادث الاوروباوية في فاتحة هذا العصر منشأهُ الحركات الحربية التي اجرتها في بدء الامر الشعوب المحتشدة للزحف من الغرب على الشرق وفيما بعد من الشرق على الغرب

كان بدء هذه الحركة في الغرب وكانت الامور الآتية تدعو الشعوب الغربية الى الاغارة على الديار الروسية والتوغل فيها حتى موسكو :

١ً ان تلك الشعوب كانت متكاتفةً تكاتفاً حربياً يمكنها من تلقّي صدمة مجموع الشعوب الحربية الشرقية

٢ً انها نبذت كل تقاليدها وعاداتها

٣ً انها كانت تأتمر لاجراء تلك الحركة الحربية بأمر رجلٍ تمكن من تزكية نفسهِ وتبرئة ساحتها باستعاذتهِ بالكذب والنهب والقتل لادراك غايتهِ . ان الثورة الاصلية الصغيرة المنتمية الى الثورة الفرنساوية الكبرى تبددت من جراء صغرها . وتغيرت التقاليد والعادات فتألفت شيئاً فشيئاً جماعة جديدة ونشأت معها تقاليد وعادات جديدة وفي ذلك الوسط نهض للاضطلاع بمهمتهِ الرجل الذي ساقتهُ الاقدار يوماً من الايام الى ترأُس الحركة وحمل اعباء مسئولية الحوادث التي توالت . ان ذلك الرجل الذي لم تكن لهُ مبادئ ولا عادات ولا تقاليد ولا اسم والذي لم يكن فرنساوياً هادنتهُ الاحداث مهادنةً غريبة وعرَضية فنال ما وصلت اليـهِ يدهُ في أول الأمر وتدخل مع جميع الاحزاب التي كانت تلقي الشقاق في فرنسا دون أن يعتصم بحبل واحدٍ منها وكان من أمرهِ انهم رفعوهُ الى أعلى درجة

ان جهل المحيطين بهِ وضعف خصومهِ وعدم الاعتداد بهم واخلاصه في الكذب وضيق دائرة عقلهِ الذي تكتنفهُ الدعوى دفعت ذلك الرجل الى تولي زعامة الجيش

ان حسن الانتظام في جيش الحملة الايطالية وما أبداهُ العدو من الرغبة عن القتال وثقة ذلك الرجل بنفسه وجرأته الوهمية كانت مرقاة الى مجدهِ العسكري . وقد رافقتهُ في كل شيء صدف سعيدة على زعم البعض

وكان أولياء الامور في فرنسا ينظرون اليهِ شزراً الاَّ ان تلك المعاملة كانت مساعدةً لهُ على نيل رغائبه

ان المساعي التي بذلها لتغيير الخطة التي توخى اتنهاجها احبط الواحد منها بعد الآخر، فالدولة الروسية أبت أن تدخلهُ في خدمتها والدولة العثمانية نبذت ما كان يعرضه عليها من الخدمة

وفي حرب ايطاليا كان غير مرةٍ الخطر أدنى اليهِ من قاب قوسين بيد ان احوالاً غير منتظرة كانت تخرجهُ من تلك الورطة الوبيلة

ان الجنود الروسية التي كانت قادرة على تقويض أركان مجدهِ بجميع أنواع التدابير السياسية لم تطأ أوروبا بأقدامها مدة بقائه فيها

ولدن رجوعه من ايطاليا وجد الحكومة الفرنساوية في حالة من الانحلال تقضي على الاشخاص المتألفة منهم بأن يتواروا أو يهلكوا . فكأنَّ الخروج من تلك الحالة المصحوبة بالخطر على نابوليون قد عرض من غير سعيٍ ولا تمهيد وكان ذلك الأمر عبارة عن حملتهِ الى أفريقيا وهي حملة لا محل لها من الاعراب تدلُّ على الحماقة

وعادت الصدفة الى خدمته بنوع عجيب فان مالطة المعتبرة منيعةً جدًّا استسلمت اليهِ بغير حربٍ وان عزائم نابوليون التي لم تكن تخلو من التغرير بالنفس كللها النجاح

وترك أسطول العدو أي أسطول الانكليز جيشاً برمتـهِ يمرُّ في عرض البحر على انهُ بعد قليل من الحين لم يعد يأذن لمركب وان زورقاً ان يمرّ على متن اللجة

وفي أفريقيا ساق كثيراً من الفظائع الى قوم عزَّل على التقريب وكان الرجال الذين أتوا تلك المنكرات وخصوصاً زعيمهم يزعمون ان ما أجروهُ عظيم وجميل وانهم يجنون من أدواحهِ ثمار المجد وان مآثرهم الخطيرة تحكي مآثر قيصر والاسكندر المقدوني

وان تصوراته الوهمية بالمجد والسؤدد التي لم يكن من شأنهـا فقط الاحجام عن اقتراف الجرائم بل الافتخار بها والنسبةَ اليها معنى يفوق الطبيعة والتي ستكون هادياً لهذا الرجل ولجميع مريديهِ وأشياعهِ أطلقت حريتها للاستعداد في أفريقيا

وأفضى كل ما عالجه الى الفوز فان الطاعون تجاوزهُ ولم يُعتبر قتلهُ الأسرى جناية تلصق به

وان انطلاقهُ المعجل الوهمي الخالي من السبب والدالّ على النذالة لتركهِ وراءهُ رفاقهُ في حال الضيق عدَّهُ لهُ بعضهم فضيلةً وقد مكّنهُ الاسطول الانكليزي مرة ثانية من النجاة

فحينئـذٍ انبهر من تلك الجرائم التي فتحت في وجهه باب السعادة

وانتهى الى باريس دون ان يكون له غاية مقررة . فالحكومة الجمهورية التي كانت منذ سنة من الزمان تقدر ان تهلكهُ كانت في حالة من الانحلال أوصلتها الى شفير الدمار وكان حضور ذلك الرجل الذي لم يكن ينتمي لحزب من الأحزاب مدرجة لارتقائهِ الى مكانة عالية . ولم يكن قد رسم له أدنى خطة بل كان يخاف كل شيء الاَّ ان الأحزاب اعتقدت ان فيهِ نجاتها ولذلك التمست مساعدتهُ

فهو وحده بما كان يجول في خاطره من أوهام المجد والعظمة وما كان يساورهُ من تلك الأحلام في ايطاليا وفي مصر وما كان فيهِ من الاعجاب بنفسهِ والجرأة على ارتكاب الجرائم والاخلاص في الكذب يستطيع ان يحقق تلك الحوادث الموشكة ان تتمّ

وكان هو الشخص اللازم للحلول في المركز الذي كان يتوقعهُ وقد اشترك بغير ارادتهِ ومع فقدان الخطة الواجب الجري عليها ومع ما كان هو عليهِ من التردد ومع ما كان يأتيه من الهفوات في تدبير مكيدة يراد بها القبض على ازمة السلطة فكان الفوز موالياً لهُ

فدفعوهُ الى وسط جلسة كان الديركتوار قد عقدها فذُعر وصمم على الهرب لتوهمهِ انهُ قد هوى الى وهدة العطب فادَّعى انحراف الصحة وفاه بكلمات خالية من المعنى كادت تكون القاضية عليهِ

ولكن الاشخاص الذين كانت حينئذٍ حكومة فرنسا مؤلفة منهم وكانوا قبل ذلك الحين كبار النفوس وراجحي الحصاة شعروا في تلك الساعة بأن دورهم قد انقضى وكانوا أشد اضطراباً من نابوليون نفسهِ ففاهوا

بخلاف ما كان يجب عليهم التفوه به للمحافظة على السلطة وخذل المختلس

ان الصدفة او بالحري ملايين من الصدف ساقت اليهِ السلطة وان جميع الناس قد اتفقوا على تثبيت تلك السلطة كأنهم قد تداولوا في ذلك الأمر . ان الصدفة أوجدت ضعف اخلاق اعضاء الديركتوار الذي حملهم على الخضوع لنابوليون

ان الصدفة منحت بولس الأول تلك الاخلاق وجعلتهُ يعترف بسلطة نابوليون

ان الصدفة كادت لهُ تلك المكيدة التي ثبتت صرح سلطتهِ بدلاً من ان تنقض دعائمها

ان الصدفة اسلمته البرنس « دنفين » ومكنتهُ من الفتك بهِ بنوع لم يكن منتظراً وقد برهن هذا العمل اكثر من سواهُ للملإِ طرًّا ان لنابوليون الحق باجرائهِ لان القوة بجانبهِ

ان الصدفة جعلتهُ يستنفد الميسور لتأليف حملة على انكلترا وهو مشروع يؤول الى هلكتهِ ويتعذر وضعهُ موضع الاجراء بيد انهُ وقع على غير انتظار على « ماك » والجيش النمساوي الذي استسلم من غير ما حرب ولا قتال

ان الصدفة والدهاء جعلاه ينتصر في أوسترليتز وقد اعترفت بالصدفة جميع الأمم وأوروبا بأسرها ما عدا انكلترا التي لم تشترك في الحوادث الموشكة أن تجري مع ما كانت جرائم نابوليون تثيرهُ في أفئدتها من النفور والفظاعة بسلطتهِ واللقب الذي انتحلهُ لنفسهِ وأوهام المجد والعظمة

التي كان جميع الناس يحدونها جميلة ومعقولة

وكانت قوات الغرب التي كان يبين انها تهيأ لاجراء حركة في المستقبل تعظم وتتثبت أركانها بعد ان كانت قد رمت بأنظارها غير مرة الى الشرق في السنوات ١٨٠٥ و ١٨٠٦ و ١٨٠٧ و ١٨٠٩

وسنة ١٨١١ اتحدت العصابة التي تألفت في فرنسا مع شعوب الوسط وانشأت مجموعاً هائلاً

وكان مع تعاظم ذلك المجموع يتعاظم تبرئة ذلك المترأس عليهِ من تبعة المسئولية

وكان ان ذلك الرجل في خلال السنوات الست التي جرى فيها الاستعداد للحركة العظيمة تولى العلاقات مع جميع عمال أوروبا وملوكها وأمرائها . وان الاقيال الذين فقدوا تيجانهم لم تكن أوهامهم المعقولة مما تقاوم بهِ الاوهام غير المعقولة التي ابتدعها نابوليون لنيل العظمة والمجد . وقد بادر الواحد منهم بعد الآخر ليبينوا لهُ انهم ممن لا يُعتدُّ بهم

وأرسل ملك بروسيا زوجتهُ الملكة الى ذلك الرجل العظيم طمعاً بنيل الحظوة لديهِ واعتبر عاهل النمسا ان ذلك الرجل يوليهِ نعمةً كبرى باقترانهِ بابنتهِ وجعل البابا حارس القداسة في البشر الدين قاعدةً لتمثال مجد ذلك الرجل العظيم (١)

الياس طنوس الحويك



(١) في الجزء القادم تتمة رأي تولستوي في نابوليون والاسكندر

في رياض الشعر

لو يُفيد اللهف

لما نكبت الاستانة في العام الماضي بحريقها تألفت في مصر لجنة لجمع الاعانات للنكوبين ، وأنفذت ولي الدين بك يكن الى حضرة السريّ الأمثل الخواجه حبيب لطف الله . فوفد عليهِ وليس بينهما معرفة من قبل . حدثنا ولي الدين قال : « تلقاني ذلك الشيخ الجليل على الرحب والسعة وأدناني منهُ . ثم أعلمتهُ بحاجتي فانبسطت لها نفسه وجاد بخمسين جنيهاً مرتاحاً الى تلك الغاية النبيلة » فأبقت هذه المقابلة أثراً طيباً في نفس الشاعر حتى اذا فجع الخواجه لطف الله بزوجتهِ في الشهر الماضي ، رثاها بالأبيات الآتية وانما يذكر الانسان بحسناته :

بكتكِ عيونُ العلى ونـاح عليكِ الشرَفْ
لحى الله هـذا الرَّدى فأيَّ الشموس كسفْ
أيعلمُ مـاذا جنى أيعرفُ ماذا اقترفْ ؟
ألا تلفتْ مهجةٌ حمتْ مُهجاً من تَلفْ
ألا جلَّ فيهـا الأسى ألا عمَّ فيهـا الأسفْ
بكى الناس جوداً مضى وكان يحاكي السَّرَفْ
تُكتّمهُ جُهدَهـا ويعرفهُ من عَرَفْ
بهِ كَلفتْ دهرَهـا فزادَ ونعم الـكلفْ
تواضعُ في عزِّهـا وأترابُهـا في صَلفْ
وما حلَّ لطف الإلـــه ذا القلبِ الاَّ لَطَفْ
فكمْ لبكيٍّ رثى وكم لأسيٍّ عطفْ
لقد شرُفَتْ بالسَّلَفْ وقد شرُفَتْ بالخلفْ

وما ترفتْ نعمةً ... وان نشأتْ في الترَفْ
أُفيضَ عليها الثنا ... ففاضَ الى أن وكَفْ
ولو أنها كفكفتْ ... ثناء الورى ما استكفْ
تخالَفَ في غيرها ... ولكنَّ فيها ائتلفْ
فصار لها كالحلى ... وباتَ لها كالتُّحَفْ
وما الوصفُ مدحاً إذا ... جرى الصدقُ فيما وَصَفْ
أيا دُرَّةَ المجد قد ... رجعتِ لجوف الصدَفْ
فلهفاً لفقدكِ لو ... يُفيدُ عليكِ اللهفْ

ولى الديه بكمه

﴿ إلى شاعر الأمير ﴾

هذه هي القصيدة التي وعدنا بنشرها وبها يقرظ شاعرها المجيد قصيدة شوقي بك التي يقول في مطلعها :

العام أقبل قم نحيّ هلالا ... كالتاج في هام الوجود جلالا

ويرى القراء في ختامها ان « شاعر الفيحاء » قد شاء مساجلة « شاعر النيل » فاذا رأى اميرُ الشعراء ان يفعل فمن حسن حظ الأدب وقراء الزهور :

حلّق فكري في سماء الخيالْ ... وساحَ في سُوح المعاني وجالْ
وغاصَ والوجدُ له سائقٌ ... في أبحرِ الشعرِ لجنى اللآلْ
فلم يجدْ أبدعَ من دُرَّة ... قد صاغها « شوقي » بنعتِ الهلالْ
غارتْ لها الشمسُ وخافتْ بأن ... تُعلي على الأيام فضل الليالْ
يا شمس فاستجدي الهلالَ الضيا ... فإنما حالُكِ للعكس حالْ
ألبسهُ « احمد » في وصفهِ ... نوراً على نورٍ ففاق المثالْ

لا تُنكروا من أحمدٍ مُعجزاً إن قيل سحرٌ فهو سحرٌ حلالْ
سطورُ حسنٍ مشرقات السنا كأنها بعضُ ليالي الوصالْ
وتارةً تحكي عيونَ المها سواحرَ الدلِّ مواضي النصالْ
آياتها بيّنةٌ للنهى وقدرُها أرفع من أن يطالْ
هيهاتِ ما الاتيانُ من مثلها بسورةٍ الاّ ورا الاحتمالْ
تظهرُ من أحرُفِها هيبةٌ تشخّصُ الضرغامَ وسطَ الدِحال
فلو تحدّى في البرايا بها داست على هام النهى بالنعالْ
هذا هو الشعرُ الذي تعتلي بمثل شأواهُ معالي المقالْ
في كل شطرٍ منهُ ثغرٌ غدا يفترُّ عن نظمِ اللآلىء الغوالْ
وكلُّ بيت حلّه «يعربٌ» مطنباً فوق الدراري العوالْ
فصاحةُ البدو على لفظهِ تسيل كالماء النمير الزلالْ
أما مغازيهِ فكم سلسلتْ بلاغةً فيها يهيمُ الخيالْ
سهلٌ على الأفهام لكنهُ ممتنع ان يُنتحى بالنضالْ
فيهِ مع الرقّةِ روحٌ وما ال أرواح بالتقليدِ مما ينالْ
يُعجزُ من جاراه مهما ارتقى فضلاً كمن حاولَ نيلَ المحالْ
وجاذِبُ الحسنِ لعمري لهُ معنىً يراهُ الذوقُ فوق الجمالْ

* * *

فيا أمير الشعر مهلاً فقد سلبتَ واللهِ شعورَ الرجالْ
كم لك من عذراء فكرٍ زهتْ كالروض وافي الزهر ضافي الظلالْ
فتنتَ أهل الشام في حسنها وفخرُ وادي النيل فيها استطالْ
رقّت فكانت كنسيم الصبا إذا تلوناها على الغصنِ مالْ
إيجازُها رحبُ المعاني على زهوٍ كغمز اللحظِ من ذي الدلالْ

وجوهرُ الاطناب منهـا جلا　　عقودَ أجيـاد بهـا النور قالْ
اذا العقول العشر أبصرنهـا　　أصبحنَ من دهش بها في عقالْ
«والملك الضلّيل» لو رامهـا　　مُعـارضاً لم يجنِ الاّ الضلالْ
خفّت على السمعِ وكم ضمّنت　　معنىً بهِ استنزرت رسوخ الجبالْ
لهُ على الألبـاب مع لطفهِ　　كالراح سلطـانٌ عظيمُ الجلالْ
يخـالهُ الطبعُ على أنسهِ　　ليثاً تبدّى من كناسِ الغزالْ
لذا تراني مضمراً رهبـةً　　ورغبتي تدفعني للسؤالْ
أودُّ إن تجريَ ما بيننا　　رسائلُ الشعر بملءِ السجالْ
وإن يكن ثمّـة فرقٌ فقد　　تُشبّـهُ البيضَ بيض الرآلْ
وقصديَ الفخرُ فمـا أدّعي　　أنيَ من فرسان هذا المجالْ
بل اجتلي نهجَ ابتـداعٍ بهِ　　ملائكُ الشعر عليكم عيـالْ
انير فكري باحتكاك الضيـا　　ما يُظهرُ الافرندَ غيرُ الصقالْ
فإن اجبتم فهو لطفٌ وما　　للُطفِ عن أهليـهِ قطُّ انفصالْ
وما عليكم حطـةٌ انمـا　　تواضعُ العالين عين الكمالْ

عبد الحميد الرافعي



﴿ رُسُل الثغور ﴾

وما شُربنا «الدخان» عيبٌ وانما　　قصدنا بهِ مَعنى قفوا وتأملوا
أدرناهُ فيما بيننـا فَلعلّنا　　الى ثغرِ مَن نهوى بهِ نتوصلُ

نجيب زلزل



رسائل غرام

بين نساء شهيرات ورجال عظام

الرسالة الثامنة

من توماس هود الى روح مس كليمانسي

(توماس هود شاعر من أبلغ شعراء الانكليز عاش في النصف الأول من المئة التاسعة عشرة . توفيت أمه وتركته طفلاً لعناية رابّته فنشأ رقيق الاحساس شديد التأثر حتى بلغت به رقة الشعر حد الجنون . وكان يهوى فتاة جميلة تدعى مس كليمانسي عاهدها على الاقتران ولكن فرط الديون التي كان يُطالب بها الجأته الى الفرار من انكلترا فلم يرجع اليها الاّ بسبب موت حبيبته . وقد كتب اليها الرسالة الآتية على أثر موتها ونظم فيها قصيدة هي من أرق ما تصوره شاعر في هذا الموضوع)

أيتها الروح الطاهرة :

لستُ أعلمُ أين أنتِ الآن ، وأين مقرُّكِ من عالم الأبدية . لعلك ترفرفين بأجنحتكِ الذهبية في هذا الفضاء اللانهاية له ، وتتنقلين بين كواكبهِ السابحة ، كما تتنقلُ الفراشة في الحقول . وسواء كنتِ مستقرّةً في رحبتهِ أو محلّقةً في فراغهِ ، فلا شك انكِ ترين عالمنا هذا أقلّ مما يرى النسرُ النملة من علوهِ الشاهق ؛ وتتذكرين ايامكِ القليلة على هذه الارض السابحة معكِ في فراغ غير مدركِ الحدود

فان كنتِ ، وأنتِ خالعة ثوب الهيولى ، قد نسيتِ ايامَ كنا نجلس معاً على شاطئ تلك البحيرة الهادئة فأنا لا أنسى تلك الايام السعيدة ،

بل أذكر كيف كنا نحبسُ شفاهنا عن النطق لتتكلمَ القلوبُ ، ونحدق بأبصارنا في الأفق لنتفرّغ اكثر للتأمل في الحب . ولقد اذكرتني بكِ اليومَ مفكراتي التي ولعت بتدوينها منذ حداثتي ، وقد كان بودي لو بقيت ذكرى الماضي دفينةً في الفؤاد لأن في عودتها الى البال فتحاً لجروحٍ لا تقبل الاندمال

أيتها الروح الطاهرة . سلام الله عليكِ ، كلما خفق جناحاكِ وخفق معهما فؤادي لذكراكِ ! سلام الله عليكِ ، كلما برزت الشمس من وراء الأفق تنثر التبر من أشعتها الذهبية ! إنْ كنتِ قد سلوتني ، فان بين جنبيّ قلباً لا ينبض الا لذكراكِ ، ولا يخفق الاّ لخفوق جناحيكِ . وان كان عالم الأرواح قد أنساكِ عالم الهيولى ، فلا كانت الأبدية ولا عالمها ! لأنّ ساعةً واحدة بقربك أشهى من الخلود في فردوسٍ لا تكونين فيهِ . وما الذي يهمني ان طال الخلود أو قصر ، انْ لم تكوني في ذلك العالم الخالد ، كما كنتِ في هذا العالم الفاني ؟

بل انعمي بالاً ، ولتقرّ عيناكِ بما أنتِ فيهِ من نعيمٍ وهناء ! فحسبي سعادةً ان تتمتعي بما تشتهين . وثقي ان قلبي الذي كان يودُّ لو ترفرفين فيهِ بجناحيكِ لهو فارغ الا من رسمك ؛ وقد دُفن الحبُّ في كل زاويةٍ من زواياه فهو مثقلٌ بيأسٍ تنوءُ بثقلهِ راسيات الجبال

ايهِ أيتها الروح الطاهرة ! ما الذي ترينه في ذلك العالم الواسع من أسرار الحياة ؟ وما الذي شغلكِ عن ذكرى حبنا القديم ، وقد كنتِ ، وأنتِ على هذه الارض ، تصفينه بالخلود ، وتقولين انهُ مستمدٌّ من عالم

الأرواح ، اذ لا بداءة له ولا نهاية . فاذا صدق قولهم انّ الأرواح تحلق في الفضاء ، فلماذا لا ترفرفين حولي بجناحيكِ ، وتسمعينني ذلك الصوت الرخيم الذي عوّدتني سماعهُ وأنتِ بعد على هذه الارض ؟

سقياً لمواقف ذلك الغرام ، أيتها الروح الطاهرة . قد كنتِ في الحياه خافقةَ الفؤاد ، وأنتِ الآن خافقة الجناحين . وأما أنا ، فلا أزال كما كنت ثابتاً على الولاء ، مقيماً على العهود ، وان كان لي بعد أمنية في هذه الحياة فهي ان أُمتّع بنظرةٍ منكِ في عالم الابدية ، وأظللكِ بجناحيّ في فردوس البقاء

كثيراً ما أقصدُ الى مثواكِ وأتفرّسُ في تلك الحفرة التي يرقد فيها هيكلكِ الجثماني رقدته الدائمة ، فتضيق الدنيا في عينيّ وتمثل لي رحبة الفضاء الذي تحلّقين فيهِ أضيق من سُمّ الخياط . ولكم وقفتُ برمسكِ خاشعَ الطرف ، حاسرَ الرأس ، وعواطفي ثائرةٌ في داخلي ، فأرى الحياة حلماً ، والعالم كله مجموعة شقاء . وأنّى للحلم ان يستمرّ نعيمهُ ، اذا انتقلت النفسُ منهُ الى يقظة رائعة ؟

القبر !

هناكَ ، حيث ينقطع كلُّ صوت ، وتبطل كلُّ حركة ؛ هناكَ ، حيث تحلّ الهيولى وتنتهي الحياة ، هناكَ ، حيث يضيع كلُّ عزاء ، وتقلُّ كل مواساة

ما أتفه الحياة بدونكِ يا كليمانسي كل يومٍ منها أبديةٌ مملّة ؛ والنفسُ لا عزاءَ لها سوى الغد ؛ ولكنّ الغد غامضٌ كأسرارِ الأبدية ، فاذا لاح فجرُه بكيتُ على أمسهِ

(١١)

نعم ، هي أيامٌ تنقضي يا كليمانسي وما بقي منها أقلُّ مما عبر. ولا بدَّ ان يأتي ذلك الغد الذي تنطوي فيهِ آخر صفحةٍ من العمر ، فيتثاءب القبرُ وأُصغي الى حفيف اجنحتكِ ، والنفس تائقةٌ الى النجاة من اغلال المادة لتحلّق معكِ في فراغٍ لا نهاية له . فمتى يبزغ ذلك الفجر المجيد ؟ إنَّ أحلامنا لم تتحققْ في هذه الحياة ، فهل تحقق في العالم الآخر ؟ أم تكون الأبدية أقسى من عالم الفناء ، فيمتدُّ بنا الفراق ، وينقطع كل أملٍ من اللقاء

هوذا أنا أنتظرُ ذلك الغد

فسلام الله الى حين اللقاء . . .

نوماس هود (بقلم سليم عبد الأحد)

شيء عن الفن

كتبتُ في مجلة « الزهور » مقالاً تحت هذا العنوان ، فتفضلت السيدة لبيبـة هاشم بالردّ عليَّ مبديةً رأياً غير رأيي . فلم يذهلني ذلك لعلمي أن قيمة الفنون الجميلة في نظر السيدة لبيبة توازي قيمة خرافات العجائز « وقصص الغول وعنقاء بنت الريم » في نظر الفيلسوف الباحث ، فضلاً عن ان حضرتها تسيء الظن في جماعة الفنّيين وربما تحسبهم أعضاء عليلة في جسم المجموع الانساني . فلذا أظنها مستحسنة في سرّها ان يمرَّ الطبيب آلته الكهربائية على جسم كل واحدٍ من أفراد هذه الزمرة الخبيثة : زمرة الموسيقيين والمصوّرين والنقاشين والشعراء ، لعلهم يعودون

من مسارح أحلامهم البليدة الى عالم المحسوس ! ! !

لكنَّ شيئاً آخر أذهلني في مقالها ، وهو اتّهامي باحتقـار العلوم . سامحها الله ؛ نعم قد أتهمتني ؛ لقد نسبت اليَّ أقوالاً لم أرِدْ قولها، وصوَّرتني صورة جميلة قبيحة (لكنها قبيحة اكثر منها جميلة) في وقت واحد ، اذ جعلتني فتاة « تنظر من سماء أحلامها الذهبية الى عالم الاختراعات العصرية والاكتشافات العامية نظرة الاحتقار والازدراء » . فتاة غريبة الاطوار ، مستقلة في دوائر أحلامها ، متكبرة متوحشة مع كثير من البلاهة — كدت لا أعرف نفسي في هذه الصورة ، ولكني لم ألبث ان فكّرتُ في أن الصديقة الفاضلة تقصد مداعبتي . ولعمري أني أُحبُّ مداعبة يدها اللطيفة وان ظلمت وجارت



يتنازع السيادة في عالم الافكار عنصران : العنصر الروحي والعنصر المادّيّ . فالمادّيون يقولون إن الغنى هو السعادة وان أهمَّ واجبات الانسان هو السعي وراء الثروة للتوصل الى السعادة عن طريق التجارة . والروحيون يتقدون أنَّ الانسان خلق لغاية أسمى من الغنى ، وان سعادته الحقيقية لا توجد في التجارة ولا تتأتّى من الأرباح الناتجة عنها ، فيذهبون بتأملاتهم الى ما وراء المحسوس معسعسين آثار هذه السعادة التي تذوب الى لقياها الارواح ، باحثين عن الجمال المطلق المقرون بالكمال المطلق ، وهذا هو المحور الذي تتيهُ حولهُ الأنفس الملتهبة بنيران حبِّ الجمال وحبِّ الحقيقة . فهذه الفئة (وهي من أعلى طبقات البشر أدبياً) لا تجد حظوى

في عيني صاحبة « فتاة الشرق » الفاضلة . وهي تقول في كل فردٍ من أفرادها انه « يظلُّ مقصراً في معارفهِ وشرائعهِ وآدابهِ وسائر نظاماتهِ » (واأسفاه عليه ! ! !) ، وانه « يظلُّ بليداً وحيداً بأفكاره يعمل لخدمة نفسه وسرورها فينصرف الى بهرجة الفنون الجميلة ويلجأ لنظم القوافي في ظلال البنايات الضخمة صارفاً في سبيلها الوقت والتعب جزافاً » (يا للخسارة ! ! !)

يعلم الله أني لا أريد الدفاع عن الفنّ ومحبيه لانه من المستحيل ان يُقنع أحد الطرفين خصمه ، ولو كان محقاً ، ولعلمي ان الحرّية الأدبية مزيّة غالية ، وانّ لكل انسان حريته في اعتقاداته وآرائه . لكني أودُّ أن أستفهم حضرة الكاتبة لماذا يا ترى يظلُّ محبُّ الفن مقصراً في معارفه وشرائعه وآدابه ، كما تزعم حضرتها ؟ ألِأنهُ لا يدرس « المكانيك » ، وهل كل الناس يدرسون هذا الفرع من العلوم ؟ ان لكل مخلوقٍ خطة يسير فيها فهو لا يتقن من العلوم الاّ الفرع الذي يستخدمه لقضاء حاجته والسير في خطته

ومع ذلك فاننا نرى معارف محبي الفن تزيد على معارف غيرهم لأنهم يميلون طبعاً الى البحث في كلّ مهمّ مفيد ، والى استكشاف كل جديد

ولماذا يظلُّ الغنيُّ مقصراً في آدابه ؟ ان من أحبَّ شيئاً برهن على ان في روحه جوهراً يشابه جوهر الشيء المحبوب ، ومن أحب الفنّ فقد أحب الجمال والكمال ، لأن الفنّ صورتهما . ففي روح الشاعر اذاً شغفٌ بالجمال وميلٌ الى الكمال ، فهو والحالة هذه أقرب الناس الى

ما هو حسن، والأدب أحسن حسنات الاجتماع . يقول صديقنا روسكن: « ان روح الشرير لا تقدر أن تفهم الجمال والكمال ، بل ان الارواح الجميلة الطاهرة الشريفة تقدرهما حق القدر لانها من أمثالهما » . وأودّ أن أضيفَ الى هذا خلاصة ما قرّره علماء الفلسفة الاجتماعية وهو ان العلم شيء والاخلاق شيء آخر . فان لم تصدقني السيدة لبيبة فعليها بكُتُب « هربرت سبنسر » وكتب غيره من المفكّرين أمثاله الذين يقولون انّ مفعول العلم والدرس يتجسم في القوى العقلية ، وقد يؤثر أحياناً في الاخلاق لكنه لا يؤثر دائماً

أما قول صاحبة «فتاة الشرق» ان الشاعر يظلُّ بليداً ، فهذه مسألة فيها نظر بل نظران وأكثر . فعليها ببدائع « شوقي » وبتأملات « الخليل » فان هذه وتلك تظهر شيئاً من العظمة والجمال وغيرها من الصفات الباهرة التي تميز روح الشاعر . أما وحدة الفنيّ وميله الى العزلة فان الفيلسوف العصري « ماترلنك » ينبئها عني أن « الأرواح الاعتيادية لا تفهم أسرار العزلة وفوائد مناجاة النفس ، مع ان الانفراد أحياناً رياضة ضرورية للقلب والعقل . وان الروح التي لا تشعر بالاحتياج الى الانفراد هي روح فاسدة » ثم يهتف هذا الفيلسوف نفسه قائلاً مع كارلايل الكاتب الانكليزي : « يا محبي العزلة والصمت ، أنتم ملح العالم ، فان لم تكونوا فيه ، فسد ! » ثم فلتذكر حضرتها أنّ حبّ الذات هو محرّكُ أعمال كل واحدٍ من البشر، سواء كان شاعراً يقرض الشعر أو فلاّحاً يحرث الارض ، لكن هذه العاطفة الغريزية تظهر في كل انسان مظهراً مختلفاً متغيراً بتفاوت الاطباع

والاميال والمدارك . وقصارى الكلام اني اؤكد للسيدة لبيبة أنَّ حبَّ الفن منحة الهية تخلق مع الانسان وتنمو فيه على التمادي كلما تقدم في السن؛ هي صفة جميلة غريزية لا اكتسابية كالعلوم واللغات والصنائع . هي نفحة من روح الله الأبدية السرمدية . وليس القصد من الفنون البهرجة ، كما تظنُّ حضرتها ، وانما القصد منها تلطيف الشعائر ، وإعلاء الفكر وتجريده عن الدنايا ، ولمس الروح بيد الجمال ودفعها الى ما هو عظيم شريف . القصد منها تهذيب الأميال وإفهام الانسان أنَّ القوى الالهية الراقدة في طيات نفسه تفرض عليه واجباتٍ ، حبها شرف ، والعمل بها مجدٌ لا يضاهى . القصد منها تنوير الافهام وتنبيه العواطف الكريمة في قلبه ، كالشجاعة والمروءة والصدق والحزم والرحمة . ولئن عجبت من قول رسكن « كل شعب يرتقي عندهِ الفنُّ الى الكمال تسقط مملكته » فلأنَّ هذا الرجل لم يكتب الاَّ لاعلاء شأن الفنّ وتمجيدهِ وتعظيمهِ ، واظهار الخطة التي يجب على كل فنيّ اتباعها . ليس لرُسكن فلسفة ، ان لم تكن فلسفة الانتقاد الفني ، وأراهُ أعظمَ ناقدٍ فنّي في انكلترا بل في أوروبا بأسرها اذا وضعنا معهُ « فاين » الفرنساوي الكبير. وقد ظهر رُسكن في النصف الاخير من القرن التاسع عشر وتوفي منذ سنوات قليلة.

تقول حضرة الكاتبة أيضاً أن لا فرق عندها بين حذاء حسن الصنعة وقصيدة بديعة النظم ما دام يجب لاتقان كل عمل قوة عقل . والوعتاه على درر الأفكار تنزّل فتلامس الأحذية ! فحضرتها والحالة هذه لا ترى فرقاً بينها وبين الخياطة التي تزين الثوب بالزركشة

« والدنتلا » ؟ معاذ الله أن أقول أنا بهذا القول ! الجسد عزيز بلا شك والاهتمام بهِ واجبٌ على كلّ عاقل ؛ على انّ أهمية الروح تفوق أهميته بمراحل ، فضلاً عن ان الدماغ ينفق من قواه في عمل عقلي في ساعة واحدة أكثر مما ينفق للعمل الجسدي في ساعات طويلة

نعم ان العمل جميل ، وهو شريف في ذاته مهما كان حقيراً في أعين الناس ، غير أنّ هذا لا ينفي ان لكل شيء درجات : يوجد الحسن والأحسن منهُ ، والعظيم والأعظم منهُ ، والغني والاكثر غنى ، والفاضل والأفضل منهُ ، وهلمّ جرّا



لقد انتقدت حضرة الكاتبة الفاضلة تفضيلي آثار الفن القديمة ، وتساءلت كيف أؤثرُ بناء الاهرام ونحت المسلات على أشعة رنتجن والتلغراف اللاسلكي في حين ان تلك الآثار تنطق بما كانت عليه الشعوب الغابرة من الذلّ واستعباد القوي للضعيف . هذا موضوع يطلب البحث لنعلم هل كان الذل أشد وطأةً في الماضي على العباد منهُ اليوم . أما أنا فلا أرى الانسانية قد تمتعت بالحرية التامة بل أراها قد استبدلت قيودها القديمة بقيود جديدة . على ان هذا بحث طويل يضيق عنهُ نطاق هذه المجالة . وأجيب السيدة على سؤالها ، بأني لا أرى نسبة بين المقابلتين لاني لم أتناول المقابلة الاّ من الجهة الفنية ، فلا تجوز النسبة الا بين كل شبيه ومشابه له ، فان وُجدتْ نسبة بين هيا كل أثينا وبرج ايفل ، فان هذه النسبة تتلاشى عند ما تقابل تلك الهيا كل بالتلغراف اللاسلكي .

ولو انتبهت حضرتها الى هذه النقطة لانصفتني في هذا المعنى . أما الاكتشافات العلمية فمن منا لا يقدرها حق قدرها ؛ ان علماء الاكتشاف هم أبطال عصورنا الذين يجب أن تكتب أسماؤهم بدماء القلوب وان تجثو الافكار لدى ذكرهم المجيد . اني أعبد هؤلاء الابطال وأميل بكليتي الى العلوم التي تسير بالانسانية الى التقدم والارتقاء ، ولم أعنِ في مقالتي السابقة الا العلوم التجارية المحضة التي يتمسك بها البشر طمعاً بالارباح الناتجة عنها . حسن أن يجتهد الانسان في جمع الثروة لأن أهمية الدرهم تزداد يوماً فيوماً ، ولكنني لا أظنُّ أنَّ الارتقاء الصحيح قائم بالثروة وحدها ، وأعتقد مع رسكن ان هناك تربية هي ارتقاء في نفسها وان لم يكن صاحبها مثرياً

هذا اعتقادي يا سيدتي . فاعذري تطوحي واصفحي عن هفوات قلمي . إن لكل امرىء أخلاقاً وأميالاً ، فأنصح لكل واحدٍ ان يعمل بها ، بعد استشارة ضميره . أقول للرياضي : « اشتغل بارقامك » ، وللطبيب « اشف مرضاك » ، وللتاجر « اضحك من زبائنك لئلا يضحكوا منك » ، وللشاعر « احلم أحلامك وأنشد أناشيدك »

فليعمل كل انسان على اكتساب سعادته كما يفهمها هو ، لا كما يفهمها الآخرون ، ما دامت السعادة غاية الخلائق القصوى وكعبة آمال الكون

مي

نوابغ مصر الاحياء

❋ اقتراح الزهور على قرائها ❋

قام في مصر في نهضتها الاخيرة رجال برهنوا على ان الشرقيّ اذا أعدَّته التربية، وتوفر له العلم، لا يقلُّ نبوغاً عن الغربي . واذا كانت مصر قد فقدت في السنوات الاخيرة عدداً من هؤلاء النوابغ لم يفسح لهم في الأجل فكان موتهم خسارة جلّى، على حين ان الحاجة اليهم والى أمثالهم شديدة، فان فيها اليوم عدداً أيضاً ممن تصحُّ تسميتهم بالنوابغ اذا حُفظت النسبة بين النبوغ و بين النهضة الحاضرة التي تعدُّ طفلةً بالنسبة الى نهضة الغربيين في هذا العصر

فالزهور

تقترح على كل واحدٍ من قرائها ان يختار عشرة رجال في مصر يراهم انهم أشهر النوابغ اليوم . وان يبعث اليها بأسمائهم مجرَّدةً عن الأسباب التي بنى عليها اختياره اذ يكفيني ان يسرد تلك الأسماء سرداً ولا يُعنت نفسه بالشروح والتعليقات وذكر المِهَن أو الفنون التي كان النبوغ فيها . وانما تجب مراعاة شرط اساسي هو : ان يكون العشرة المختارون من الأحياء

والزهور

تجمع هذه الأسماء ثم تنشرها في الجزء القادم والى جانب كل اسم منها عدد الذين أجمعوا على اعتباره نابغة . وتنشر بعدئذٍ صور اولئك العشرة النوابغ المختارين فاسحةً لكل نابغةٍ منهم صفحةً من صفحاتها يكتب فيها للقراء ما يحلو له . ان عشر صفحاتٍ يكتبها عشرة نوابغ . تحتوي ولا ريب عشرات كثيرة من الدرر الغالية



حادث في الصحافة

بعد ثلاث وعشرين سنة في « المؤيد »

صدر الأمر العالي الخديوي في اوائل الشهر الماضي بإسناد منصب نقابة الاشراف ومشيخة الطرق الصوفية الى فضيلة السيد عبد الحميد افندي البكري ، وبتولية سعادة الشيخ علي يوسف مدير سياسة جريدة « المؤيد » مشيخة السادة الوفائية لمصاهرته بيت السادات المشهور

وفي ١٦ منهُ جرى الاحتفال بالسيّدين في سراي عابدين العامرة ، في قاعة الاستقبال الكبرى للتشريفات الرسمية ، فجلس الجناب الخديوي والى يمينه فضيلة الأستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر ففضيلة مفتي الديار المصرية فنائب قاضي مصر . والى يساره فضيلة السيد عبد الحميد البكري فسعادة شيخ السادات الوفائية. وجلس على الجانبين بقية كبار العلماء من اعضاء مجلس ادارة الازهر ومشايخ الأروقة ومشايخ المذاهب ورجال القضاء الشرعي

وعقب ان استقرَّ المجلس بالجمع ، قُدِمت القهوة لحضرة المتشرفين بالحضرة السنية ؛ ثم قال الجناب العالي :

« اني مسرورٌ اليوم كثيراً اذ أرى هذا الاحتفال يجمع كبار العلماء حولي ؛ وأحوال المعاهد الدينية على ما نرجو لها من انتظام السير وتمام الهدوّ والسير في طريق التقدم والارتقاء . ولذلك يسرُّني ان اعرب لجميع رؤساء المعاهد الدينية عن الشكر والامتنان . ومما يزيد سروري

انني احتفل اليوم بهذين الرئيسين الدينيين اللذين عُهِدت اليهما المحافظة على مجد بيتين من أعظم بيوت المجد والشرف

وقد سبق لي ان استقبلتُ عقبَ وجودي في هذا المركز حضرة السيد توفيق افندي البكري ، وأنا اليوم أستقبل حضرة السيد عبد الحَميد البكري خلفاً له ، وأستقبل معهُ حضرة السيد علي يوسف شيخاً للسادة



السيد علي يوسف

الوفائية ؛ وأراهما خيرَ اهل لما عهدتُ اليهما . وبمعونتكم ان شاء الله يقومان بوظيفتهما خير قيام »

ثم أمر سر تشريفاتي خديوي فألبسهما خلعتين سنيتين مصنوعتين من الجوخ الاخضر ومبطنتين بالفرو النفيس ، وكانت عمامتا السادة البكرية والسادة الوفائية قد احضرتا في الجلسة ، فأمر الجناب العالي سعادة السر تشريفاتي خديوي بالباسهما اياهما

وبعد انتهاء الحفلة الرسمية في سراي عابدين قصد فضيلة السيد عبد الحميد البكري سراي السادة البكرية في الخرنفش ؛ وقصد سعادة السيد علي يوسف في جمع من رجال الطريقة الوفائية وقد لبسوا الاخضر وتعمموا بالعمائم الكبيرة « زاوية الزباط » في جهة الخرنفش ايضاً وهي الزاوية القديمة التي كان يتعبَّد فيها سيدي « علي وفا » الأستاذ الاكبر الاشهر للطريقة الوفائية مدة حياتهِ ، وكان يعيش في أواخر القرن الثامن للهجرة

وهناك دخل شيخ السادات الوفائية الجديد كعادة كل شيخ يتولى مشيخة هـذه الطريقة ، فتوضأ وصلَّى ركعتين في القبلة . ثم قرأ جماعة الطريقة حزب السادة الوفائيـة وكرَّروا شعارها وهي كلمة « يا مولاي ، يا واحد ! يا مولاي ، يا دائم ! يا علي يا حكيم ! »

وفي الساعة الأولى بعد الظهر عاد هذا الجمع الى بيت السادة الوفائية في درب الجماميز ؛ حيث جلس شيخ السادة برهة من الزمن على سجادة السادة الوفائيـة ؛ وهي أقدم سجادة توجد في مصر اذ كان يصلي عليها سيدي « محمد وفا » الاكبر ، والد سيدي « علي وفا » ، الذي ولد في أوائل القرن الثامن للهجرة لوالده السيد « النجم الأنور » الذي كان استاذ سيدي ابن عطاء الله السكندري

هذا ولما كان خروج السيد علي يوسف من الصحافة ، بعد ان خدمها في « المؤيد » زهاء ثلاثة وعشرين عاماً ، حادثاً ذا شأنٍ في عالم الأدب رأت « الزهور » ان تجمع لقرّائها زبدة أقوال بعض الكتّاب والصحافيين في زميلهم السابق ؛ من حيث هو كاتب صحافيٌّ فقط ، وهذا ما تيسر لنا جمعهُ

الشيخ علي يوسف سهلُ التأليف ، شديد المضاء . هو في بيانهِ أقربُ الى العامة منهُ الى الخاصة . اذا غالبَ غالبَ بصوتهِ دون روحهِ ؛ صحافيٌّ محنَّك وليست الكتابة من عملهِ

كأنما يراعهُ سوطهُ يضربُ ان جدَّ ولا يكتبُ
لا تَدَعُ العجمةُ اسلوبَهُ فليس في اسلوبهِ مُعرَبُ

ولي الدين يكن

لو كان غيرَ سياسيٍّ بطبيعتهِ ، لما كان من الكتاب

ابو السامي الرافعي

أنظرُ اليهِ بعين الصحافي ، فأراهُ عظيمَ البراعة ، في تقليب اليراعة ، وشديد الحصافة ، في ميدان الصحافة ؛ ولو وجد قلمهُ من عواطفهِ دعامة ، لرفعهُ بيننا الى مقام الزعامة ؛ ولقد زاد فضلهُ أنه من الطبقة العصامية ، وجهّال اللغات الأجنبية

يوسف البستاني

سيف لا يزال في غمده صدِئاً حتى يجلوَه القراع

مصطفى لطفي المنفلوطي

كان للانشاء في مصر ديوان أنت رئيسه ، والكتاب جميعاً عمّاله

مصطفى لطفي المنفلوطي ايضاً

له اسلوب جمع بين المتانة والطلاوة ولا سيما في الايلام والهجاء ، وقلم يطاوعهُ في الشيء ونقيضهِ على السواء . ولكنَّ علمهُ قليل فما هو من الكتَّاب الذين يبقى أثر مقالاتهم الى حين .

إسكندر شاهين

يكتب بقلم ذي أنبوبتين : أفرغ في هذه أرياً ودرياقاً ، وأفعم هذه سُماً زعافاً وكلما دافَ من هذه على تلك وصلَ الى أبعد غايةٍ من قوة التأثير وسلامة التعبير .

كتابتهُ صورة من دهائهِ وما سَلِمَ من عاب وان كان من أقدر الكتاب

ابراهيم الدباغ

صاحب مجلة الانسانية



تربية الطفل

لباس الطفل

يغيَّر على الحبل السري الذي ينفصل بين اليوم الخامس والعاشر ، باحدى القطع المربعة الاربع السالفة الذكر . تقطع القطعة المربعة من أحد الجانبين ومن منتصفها الى مركزها ، ثم توضع القطعة بحيث يكون هذا الشرم الى أعلى ، والحبل السري في أسفل الشرم المذكور ؛ ثم يثنى الجزء الأيمن على الحبل السري وأخيراً الجزء الأيسر ، ثم تقلب القطعة بما فيها من الحبل السري الى أعلى . ومن اللازم أن يكون الحبل جافاً وان يبقى كذلك ، وذلك بذرّ قليل من المسحوق عليه . وعلينا أن نلاحظ الحبل السري لحدوث نزف منهُ أحياناً . وبعد انفصال الحبل السري يوضع على السرة قطعة من القطن ، وتحفظ في مكانها باللفافة ويجب أن

تكون اللفافة بحيث تكون السرة في منتصفها ، وتلفّ جيداً من أسفل ، وتلفّ لفاً بسيطاً من أعلى حتى لا يحدث أي ضغط على المعدة والرئتين . ثم توضع بعد ذلك الصدرية التي من الصوف وتربط من الامام ، ثم تثنى لفافة لتكون بشكل مثلث فوق الصدرية ، وتحكم على الطفل فوق الصدرية بالطريقة الآتية : توضع اللفّة التي بشكل المثلث بحيث تكون أطرافها العليا تحت إبط الطفل بقليل حتى لا تمتنع حركة الذراعين ؛ ثم يدخل الطرف الأسفل من اللفة بين ساقيّ الطفل ويُضمُّ الطرفان الآخران على جسمه الواحد فوق الآخر . ويلفُّ الطفلُ بعد ذلك بلفّةٍ مربعة أخرى ، ويوضع على قدميه الحذاء المصنوع من الصوف ، ثم يوضع الشال فوق رأسهِ

ويشترط في ملابس الطفل ان تقيَهُ البرد ، لانهُ يتأثر بسرعةٍ لصغر سنّه ؛ وان تترك للطفل الحرّية التامة حتى يستطيع أن يحرّك أعضاءهُ بكل سهولة ، لأن ذلك يساعد على نموّ الجسم نموًّا كاملاً ؛ وان تكون جافة نظيفة وتستبدل بغيرها متى ترطبت من البول أو البراز . وعلينا أن نلاحظ اثناء إلباسها للطفل ان تكون خالية من التجعدات لانها تؤلمه

الاعتناء بالاذن والانف والعيون والفم

وبعد إلباس الطفل يجب على المرضع أن تنظف الأذن والأنف والعيون بقطع من القماش مبللة بالماء الدافئ ، وتنشفها بقطع من الفلانلا الجافة أو بفوطة ناعمة . ويلزم التأكد من عدم وجود إفراز في العينين ،

لانهُ اذا وجد يحسن غسلهما بمحلول البوريك ، ومعالجتهما بأي علاج حسب أمر الطبيب . وينظف الفم بادخال السبابة ملفوفة عليها قطعة من القماش بعد ان تُغمس في الماء الدافئ ويحسن مسح اللثة واللسان وسقف الفم بقطع من القماش المبللة بجلسرين البورق

متى يحسن عمل حمَّام للطفل

يرى البعض تحميم الطفل مرتين في اليوم ، ويقتصر البعض على حمام واحد في الصباح مع تغيير الملابس وملاحظة السرَّة وإحكام رباطها . ومن المهم عند تنظيف شعر الطفل (بالفرشة) أن يكون ذلك بلطف لوجود مساحة صغيرة في الرأس لم يلتئم فيها العظم تسمى باليافوخ ولا يتم التئام العظم الا بعد ١٨ -- ٢٤ شهراً والضغط على اليافوخ قد يحدث اعراضاً خطرة لوجود المخ تحته مباشرة

الطفل في المهد

من المستحسن ان لا ينام الطفل مع أُمه في فراشها مطلقاً لما يحدث أحياناً من الخطر بنوم الأم عليه . وأفضل مكان لنوم الطفل هو المهد . ويؤخذ الطفل من المهد آناً بعد آخر لارضاعهِ . ويحسن ارضاعه على أثر إخراجه من الحمام ثم يُصبح ميَّالاً الى النوم فيجب أن يكون المهد معُدَّا لاستقبالهِ واذا كان الجوُّ بارداً يمكن تدفئة المهد بوضع زجاج مملوء بالماء الساخن . ولا يحسن هزُّ الطفل في مهدهِ خشية أن يتعود ذلك . وكل ما يحتاج اليهِ هو السكون والهوآء المطلق دون وجود مجرى هوائي

الدكتور محمد عبد الحميد

لمن هذا الشعر ..؟

نشرنا في الجزء الفائت أبياتاً أخفينا اسم ناظمها، تاركين لفراسة القراء ان يعرفوه؛ فوردت علينا اجوبة كثيرة من أنحاء مختلفة . فاذا بمعظم الكاتبين قد نسب تلك الأبيات الى سعادة اسماعيل صبري باشا، وقد بلغ عدد هؤلاء ٥٣، وعزاها بعضهم – وعددهم ٢٧ – الى خليل افندي مطران. وزعم ١٦ انها لسعادة شوقي بك. وتوزع بعض الأجوبة على حافظ افندي ابراهيم وأبي السامي الرافعي وأمين بك ناصر الدين محرّر الصفا وعبد الحليم افندي المصري . وقال مكاتب من السودان انها للدكتور شدودي . واعتقد بديع افندي الحوراني انها لوالده الاستاذ الشيخ ابراهيم الحوراني

أما الأبيات فهي من نظم ولي الدين بك يكن

وأما الذين أصابوا في نسبتها اليهِ فهم حضرة : عبد المعطي بك حسين عمدة الصوالح – والسيدة لبيبة عقيلة أيوب افندي نقاش – وأندراوس افندي حنا – واسكندر افندي سعيد البستاني – والخواجات حنا ويوسف شيخاني – وعبد الله افندي نادر – وأمين افندي حمدي . وقد أرسلت ادارة مجلة « الزهور » جائزةً لهم كتاب « المعلوم والمجهول » لوليّ الدين بك يكن وعليهِ توقيعه بخط يده

هذا واننا نقتطف من بعض الأجوبة التي وردت علينا الشذرات الآتية :

كتب ابو اسحق الصَابي في مساجلة استاذه الشريف الرضي قصيدته النونية الساكنة فأجابهُ الشريف بقصيدة اخرى من نفس البحر غير انهُ اطلق الرويّ زاعماً ان هذا الرويّ الساكن مما ينافي العذوبة ويكدُّ اللسان ويضطرب في اسلتهِ . وهو رأي العرب الذين تظهر فطرتهم اللغوية في ألسنتهم لأنهم انما يريدون الوجوه اللفظية التي نشأت بها اللغة حسناء رائعة ونمت بها هيفاء بارعة فما كان من ذلك في الشعراء فهو أثر ورأْي يجري هذا المجرى

ولما قرأتُ الأبيات التي نشرتها « الزهور » عجبت من أول بيت لهذا التقييد الذي أراه في الرويّ . ثم مررت في هزّها حتى أتيت عليها . فاذا صقال مطبوع ، واذا فكر دقيق و بصيرة نفاذة وفطنة شفافة . فراجعت رأيي متّهماً ثم رجّعت النظر كرتين فصحَّ عندي ان تقييد الروي انطلاقٌ في حرية الشاعر وانهُ من أفراد شعراء المعاني الذين ينبع الشعر في قلوبهم قبل ان يفيض على ألسنتهم ولا أعرف ذلك لأحد كما أعرفهُ للرجل الكبير الذي يكاد يكون قلباً كلّه وهو اسماعيل باشا صبري

ابو السامي الرافعي

« الأبيات لولي الدين بك يكن . فان أخطأ ظني فما ذلك الاَّ لأن الشعر الحقيقي روح واحدة تتجلّى بمظاهر متعددة حسب ما توحيه قرائح الشعراء وكثيراً ما تتشابه هذه المظاهر فتعسر معرفة اسم الناظم مهما كان لاسلوبه في النظم من المميزات »

اسكندر سعيد البستاني

هذه الأبيات تشابه في روحها الأبيات المنشورة تحت عنوان « لؤلؤ الدمع » في الجزء نفسه ولا سيما في قول الشاعر « وقد كدت أنسى كبرتي فادَّكرتها » فانهُ ينطبق على ما ورد في مطلع « لؤلؤ الدمع » لولي الدين بك يكن

لا تذكريني فانَّ الذكر يرجع لي عادات وجدي في أياميَ الأول

حنا و يوسف شيخاني

هذه الأبيات ليست لشوقي لأنَّ شعره يعلو ويخفض كموج البحر ؛ وليست لحافظ لأنهُ يعتني بالديباجة اكثر من اعتنائهِ بالمعاني ؛ وليست لخليل لأنَّ ألفاظهُ أقلّ من معانيه ؛ وليست لوليّ الدين لأنهُ على فصاحته يعوزه بعض الجزالة ، وليست لالياس فياض لانصرافه عن الشعر الى سواه في الأيام الحاضرة . على انهُ لو كان البارودي لا يزال حياً لنسبتها اليه لما فيها من رصانة القول وجزالة المعنى وحسن السبك . فهي في رأيي والحالة هذه لسعادة اسماعيل باشا صبري

يوسف الخوري كرم

أرى في هذه الأبيات افكار ومعاني اسماعيل باشا صبري ، وفي اسلوبها وديباجتها لهجة وليّ الدين بك يكن

لمع لمع

هذه الأبيات هي للشاعر الذي نشرت له الزهور في مجلّدها الأول « شكوى المنفي » صفحة ١٤٠ و « ياليل الصب » صفحة ٣٢٧ ، و « نفس مكرمة » صفحة ٤٢٨ . وفي مجلّدها الثاني «ما كان» صفحة ١٩٠ و« القلوب البائسة» صفحة ٩٧٤. وفي مجلّدها الثالث « لؤلؤ الدمع » صفحة ٣١ فهي لوليّ الدين بك يكن

لبيبه نقاش

هي للشاعر الذي سُمعت أنّاتهُ على ضفاف البسفور، ودوت صيحاتهُ في ارجاء يلديز. الشاعر الكاتب المجرّد عن كل تعصب ان دينيًّا او جنسيًّا . هي لوليد الاستانة ومنفي سيواس ونزيل مصر اليوم صاحب « المعلوم والمجهول » عرفتهُ وانا اطمع بأن أرى توقيعهُ على الجائزة فاحتفظ بخط الرجل الحرّ الذي علّم الأحرار كيف يكون على الحرية . هي لولي الدين بك يكن ؟

عبد الله نادر

قرأت كثيراً لولي الدين بك يكن وتشبعت من روحهِ فلم اشكّ في ان الأبيات لهُ

امين حمدي

وقد ورد علينا جواب مطوّل من حضرة الكاتب المجيد الشيخ ابرهيم الدباغ صاحب مجلة الانسانية فيهِ نقدٌ لهذه الأبيات ووددنا ان ننشره لما فيهِ من الفائدة لولا ان منعنا ضيق المقام . على ان حضرتهُ اخطأ في نسبتها

*
* *

هذا واننا نشكر المكاتبين الادباء الذين تفضلوا بالرد على اقتراحنا ، ونُلفت نظر القراء جميعهم الى اقتراح « الزهور » المنشور في هذا الجزء صفحة ٨٩ بعنوان نوابغ مصر الاحياء



ثمرات المطابع

كتاب خالد – قرأتُ كتاب خالد من الفاتحة الى الخاتمة . وكنت قد رأيتُ مؤلفه مرةً في بيروت منذ ثلاث سنين في صيدلية صديقي الفاضل مراد أفندي بارودي . فلما قرأتُ في الكتاب وصف « خالد » نفسهُ انهُ « حليق الشاربين ، مسترسل شعر الرأس » تمثلت أمام مخيلتي صورةُ المؤلف جليةً واضحة . والكتاب كغيره من نتائج الافكار يجمع بين الحَسن وغير الحسن وذلك شأن كل مؤلَّفٍ على الاطلاق

وقد أدهشني في هذا الكتاب ما يلوح للقارىء لأول وهلة من سعة اطلاع مؤلفه وتمعقهِ في معرفة اللغة الانكليزية وسهولة انشائهِ وغزارة مادته . الاَّ انهُ قد تكلف استعمال الالفاظ الانكليزية النادرة فكأنهُ أراد ان يظهر مقدرته اللغوية ونبوغهُ في ادراك اسرار تلك اللغة الاجنبية

والكتاب مقصود بهِ سرد سيرة « خالد » وما لقي في مسقط رأسه وفي بلاد الغربة من تقلبات الأيام فهو مكتوب للعامة وكان يستحب ان تكون ألفاظه سلسة كمعانيهِ لا ان يكون معجم كلمات غريبة .

وقد حمل المؤلف في كتابهِ حملة شديدة على الجزويت والاتراك ولا يعنّ لنا هنا ان نخطّئ او نصوّب عمله بالنسبة الى هذين العنصرين ولكننا نقول اذا كان هذا التقريع لا يجلب فائدة فما هو الاَّ نفثة مصدور او ثورة غيظ لا تروي غليلاً ولا تشفي عليلاً . وأجدر بأرباب الاقلام ان يكونوا أوسع صدراً واكثر حلماً فلا يدفعهم الغضب الى شطة قلم تنكأ

جرحاً قديماً لا يرجى شفاؤه ولكنها تزيده ألماً

ومن أحسن ما ورد في الكتاب وصف الأماكن التي زارها المؤلف ووصف معيشة القرويين في سذاجتها الطبيعية حتى انك اذا قرأت وصف الجبال والأودية وبزوغ الشمس ومغيبها ، وظلال الصخور وأغصان الاشجار وخضرة الوادي وخرير الماء وهبوب النسيم وتغريد الاطيار وشذا الازهار ، تظن انك انتقلت بالفكر الى المكان الذي يصفهُ وكأنك تشاهده بعينك . وهي لا شك مقدرة للكاتب يحمد عليها

وفي الكتاب مباحث كثيرة فلسفية دقيقة تدلّ على ذكاء خارق وذهن متوقد ، وسعة اطلاع ، والمام بأكثر الفنون القديمة والعصرية ، حتى لترى المعاني تسطع متقطعةً كوميض البروق فتبهر البصر بشدة لمعانها ثم تضمحلّ بسرعة فيعقبها ظلام دامس . بل هي شرر النار المتطاير من حديد محمي الى البياض تحت مطرقة الحدّاد . تراه ينبعث في كل مكان ثم يختفي بمثل السرعة التي ظهر بها . ذلك انهُ لا يرمي الى غاية واحدة بل ينتشر في كل جهة ثم يندثر فلا تدري ما العلاقة التي كانت بين مصدره ومرجعه

ولا مشاحة في ان المؤلف شاعر اكثر مما هو كاتب . وقد بلغ بهِ الخيال الى الحلم فيرى ان المستقبل سينشيء دولة عربيةً في سوريا يجعلها بهجة الدنيا . وهو حلمٌ لذيذ نتمنى ان يصير حقيقةً ولكن بينهُ وبينها مراحل حتى الآن لا يبلغها الاَّ الوهم . ومن المؤكد ان المؤلف قد استفاد كثيراً من الغربيين ادباً وعلماً وفلسفةً ولكن الفطرة الشرقية لم تزل شديدة فيهِ وهي التي تجعل الأمل يقوم عندنا موضع العمل . وهذا ما جعل

الشرقيّ غارقاً في سبات منامهِ لاهياً بآماله وأحلامهِ

هذه خلاصة ما تأثر به ذهني من مطالعة كتاب « خالد » بسطتهُ كما أرسلتهُ النفس وما خشيت ان يسوء موقع بعض الحقائق التي فيهِ من ذلك الفكر المتقد وذلك العلم الجامع　　**نجيب**

مختارات المنفلوطي[1] — رأى السيد مصطفى لطفي المنفلوطي ، صاحب « النظرات » ، حاجة طلاّب الأدب الى « كتابٍ يجمعُ لهم من جيّد منظوم العرب ومنثورها ، في حاضرها وماضيها ، وفي كل فنّ وغرض من فنونها وأغراضها ، ما يستعينون باستظهارهِ او ترديد النظر فيهِ ، على تهذيب بيانهم وتقويم لسانهم . . . فهزّ دوحة الأدب العربي هزّةً ، تناثرت فيها هذه الثمرات الناضجة » التي سمّاها « مختارات المنفلوطي » . بين يدينا الآن الجزء الأول من هذه المختارات وهو يشتمل على بابي الفصاحة والبيان ، والأدب والحكمة ، مأخوذة فصولهما عن مئة شاعرٍ وكاتبٍ تقريباً بين قديم وحديث ؛ وستليهِ اجزاء اخرى تتضمن سائر أبواب الكتابة . وقد برهن السيد المنفلوطي في انتقاء هذه المختارات عن ذوقٍ سليم واطلاعٍ واسع ، الأمر الذي لم نعجب له ، لأن صاحب « النظرات » من كتّابنا المعدودين ومن ذوي الخبرة التامة بالأدب والأدباء . وقد أحسن بوجهٍ عام في وصف كل كاتب من الكتاب الواردة أسماؤهم في كتابهِ ، غير اننا كنا نودّ ان نرى زيادة تفصيل في هذهِ التراجم كأن يذكر لنا دائماً سنة ولادة المترجَم كما ذكر غالباً سنة وفاته ،

---

(١) طبع بمطبعة المعارف في مصر . ثمنهُ عشرة قروش صاغ وعدد صفحاتهِ ٢٧٠

أو على الاقل القرن الذي عاش فيهِ ، ملحقاً ذلك بأسماء اشهر مؤلفاتهِ ، لكي يطلبها من يرغب في زيادة الاطلاع ، او على الأقل ليكتفي بمعرفة أسمائها . وكان يُستحبُّ ايضاً مراعاة تاريخ الكتّاب في إيراد كتاباتهم ، فلا تقرأ شيئاً للمتنبي المتوفى سنة ٣٥٨ هـ وبعدَه أبياتاً لبشار بن برد الذي توفي قبله بنحو من مئتي سنة ، ثم ننتقل دفعةً واحدة الى احد شعرائنا المعاصرين . فهذه الأمور لا تخفى أهميتها في تنسيق المختارات وترتيبها ، وقد راعاها الافرنج قبلنا في مختاراتهم ، فكانت نتيجتها تفوّق ناشئتهم في حفظ تاريخ آدابهم الأمر الذي يكاد يجهله حتى المتأدبون منا . على ان « مختارات المنفلوطي » تُعَدُّ من خير ما لدينا من هذا القبيل

الدولة والجماعة [1] — عنوان لكتيّب يقع في ٦٥ صفحة وضعهُ بالتركية احمد شعيب بك ، ونقله الى العربية محبُّ الدين افندي الخطيب احد محرري جريدة المؤيد ، وصدَّرهُ رفيق بك العظم بمقدمةٍ عن علم الجماعة في الشرق . الواضع من مشاهير الكتاب الأتراك ، والمترجم من حملة القلم البارعين . أما رفيق بك فمنزلتهُ الادبية معروفة لدى الجميع . ان كتاباً هذا شأنه لخليق بكل اديب ان يطالعهُ بامعان ولا سيما انه يحتوي بحثاً مفيداً قلّما عالجتهُ الاقلام العربية الاَّ في العهد الاخير . فلمحبّ الدين الخطيب الثناء الوافر



(١) طبع بمطبعة المؤيد وهو يطلب من مكتبة المنار بمصر

لما نُكِبت بيروت نكبتها الاخيرة في ٢٤ فبراير — شباط ، هزَّت الأريحية والمروءة دولة الأمير النبيل محمد علي باشا ، شقيق الجناب العالي الخديوي ، ونخبةً من سراة مصر وكرمائها ، فتألفت لجنة رئيسها دولة الامير ، وقوامها أصحاب السعادة والوجاهة : محمد شواربي باشا ، ومحمود رياض باشا ، وعزيز عزت باشا ، واسماعيل باشا صبري ، وحسن باشا مدكور ، واسماعيل باشا اباظه ، وحسين باشا واصف ، وعبدالرحمن باشا صبري ، وخليل باشا خياط ، ونجيب باشا شكور ، وسليم بك ايوب ثابت ، ورفيق بك العظم ، وحبيب افندي لطف الله ، فاحتفلوا باحياء ليلة خيرية في تياترو الاوبرا الخديوية مساء الثلاثاء في ١٩مارس الماضي ، لإعانة المنكوبين في تلك الحادثة الاثيمة ، فضمت الليلة أوجهَ وجهاءِ المصريين والسوريين يتقدمهم صاحبا الدولة الاميران محمد علي باشا ، وحسين باشا كامل (عم سمو الجناب العالي) وصاحب العطوفة محمد سعيد باشا رئيس مجلس النظار وأصحاب السعادة النظار الكرام . فرأى الحاضرون في تلك الحفلة الانيقة احسن ما يُرى ، وسمعوا خير ما يُسمع

ولما كانت « الزهور » منذ نشأتها الى يومها الحاضر ، عاملةً ابداً على إحكام الروابط الأدبية بين القطرين الشقيقين — مصر وسوريا — وقد طالما كتبت واستكتبت في هذا الموضوع المقالات والقصائد التي كانت صحف هذين البلدين تردّد صداها ، وتعزّز مبدأها ، رأت من الواجب عليها أن يكون لها يدٌ في تلك الحفلة التي أقامها ابناء أحد القطرين لاعانة ابناء القطر الآخر في بلواه . فتقدمت الى اللجنة بلسان سعادة السري الأمثل سليم بك ايوب ثابت ، فأُذن لها وحدها في نشر ما أعدّ لتلك الليلة فجمعتهُ في كرّاس خاص ، صدّرتهُ برسم دولة الأمير الرئيس ، وقدمت منهُ عدداً كبيراً الى اللجنة ، ليلة الاحتفال ، ليُضاف ثمنهُ الى مبرات المتبرعين . وقد ارتأت « الزهور » ألاَّ تحرم قراءها من تلك النفثات الشائقة ، فأودعتها في هذا الجزء ليبقى لديهم اثراً لروح التآخي والتضامن، ذلك المبدأ الشريف الذي بسطهُ حضرة سليم بك ثابت الخطيب المشهور في ختام تلك الحفلة في خطبة بليغة ألقيت ارتجالاً فلم نتمكن من إثباتها



صاحب الدولة الامير الخطير محمد على باشا
شقيق الجناب العالى الخديوى

جريح بيروت

وهي ابيات تمثل حالة جريح من جرحى حادثة بيروت الاخيرة
وضعها لهذه الليلة سعادة اسماعيل باشا صبري وحافظ افندي ابرهيم

الممثلون :	الجريح البيروتي	جورج افندي ابيض
	ليلى زوجته	الست ابريزستاني
	العربي	فؤاد افندي سليم
	الطبيب المصري	عبد الرحمن افندي رشدي

الجريح: ليلاي ما أنا حيٌّ　　يُرجى ولا أنا ميتُ
لم أقضِ حق بلادي　　وها أنا قد قضيتُ
شفيتُ نفسي لو آني　　لما رُميتُ رَميتُ
بيروت لو أن خصماً　　مشى اليَّ مشيتُ
او داس أرضكِ باغٍ　　لدسته وبغيتُ
او حلَّ فيكِ عدوٌّ　　منازلٌ ما أتقيتُ
لكن رماكِ جبانٌ　　لو بان لي لاشتفيتُ

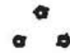
⁂

ليلايَ لا تحسبيني　　على الحياة بكيتُ
ولا تظني شكاتي　　من مصرعي إن شكوتُ
ولا يخيفنكِ ذكرى　　بيروت اني سلوتُ
بيروت مهد غرامي　　فيها وفيكِ صبوتُ
جررت ذيل شبابي　　لهواً وفيها جريتُ
فيها عرفتكِ طفلاً　　ومن هواكِ انتشيتُ

ومن عيون رباها وعذب فيكِ ارتويتُ
فيها لليلى كناسٌ ولي من العزّ بيتُ
فيهـا بنى لي مجداً أوائـلي وبنيتُ
ليلى سراج حيـاتي خبا فما فيـهِ زيتُ
قد أطفأتهُ كراتٌ ما من لظاهنَّ فوتُ
رمى بهنَّ بغـاةٌ أصبنـني فثويتُ



ليلى : لو تُفتدى بحيـاتي من الردى لفديتُ
ولو وقاك وفيٌّ بمهجتي لوقيتُ
ان عشتَ او متَّ أني كما نويتَ نويتُ



الجريح : ليلاي عيشي وقرّي اذا الحمـامُ دعاني
ليلايَ ساعات عمري معـدودة بالثواني
فكفكفي من دموع تفري حشاشة فانِ
ومهّدي ليَ قـبراً على ذرى لبنانِ
ثم اكتبي فوق لوح لكل قاصٍ ودان
هنـا الذي مات غدرا هنـا فتى الفتيانِ
رمَتـهُ أيدي جناةٍ من جيرة النيرانِ
قرصان بحر تولوا من حومة الميـدان
لم يخرجوا قيـد شبر عن مسبح الحيتان
ولم يطيقوا ثباتاً في اوجه الفرسان
فشمّروا لانتقـام من غافل في أمان
وسوّدوا وجـه روما بالكيد للجيرانِ

تبًّا لهم من بغاثٍ فرّوا من العقبانِ
لو انهم نازلونا في الشام يوم طعانِ
رأوا طرابلس تبدو لهم بكلِّ مكانِ
يا ليتني لم أُعاجَلْ بالموتِ قبل الأوانِ
حتى أرَى الشرق يسمو رغم اعتداء الزمانِ
ويستردُّ جلالاً لهُ ورفعة شانِ
وليعلم الغرب انَّا كأمّةِ اليابانِ
لا نرتضي العيش يجري في ذلة او هوانِ
أراهــم أنزلونا منازل الحيوانِ
وأخرجونا جميعاً عن رتبة الانسانِ
وسوف تقضي عليهم طبائع العمرانِ
فيصبح الشرق غرباً ويستوي الخافقانِ
لأُممٍ جدَّدْ قوانا لخدمة الأوطانِ
فنحن في كل صقعٍ نشكو بكل لسانِ
يا قوم انجيل عيسى وامة القرآنِ
لا تقتلوا الدهر حقداً فالملك للديَّانِ

ليلى : اني أرى من بعيد جماعةً مقبلينــا
لعلَّ فيهم نصيراً لعلَّ فيهم معينـا
هوّن عليكَ تماسكْ

(يدخل الطبيب المصري ورجاله مع رجل عربي)

الطبيب : اني سمعت أنينا
أظنُّ هذا جريحاً يشكو الأسى او طعينا
بالله ماذا دهاهُ يا هذهِ . خبّرينا

ليلى : لقد دهته المنايا من غارة الخائنينـا
صبُّوا عليـهِ الرزايا لم يتقوا الله فينـا
فخفّفوا من اذاه ان كنتم فاعلينا

الطبيب: لا تيأسي – وتجلّدْ أراك شهماً ركينا
أبشر فانك ناجٍ واصبر مع الصابرينـا

(ثمَّ يفحصهُ ويلتفت الى اخوانه ويقول)

اوّاه اني أراهُ للموت أمسى رهينا
جراحـه بالغـات تعيي الطبيب الفطينا
وعن قريبٍ سيقضي غضَّ الشباب حزينا

العربي: أفٍّ لقومٍ جياعٍ قد أزعجوا العالمينـا
قِراهمُ أينَ حلُّوا ضربٌ يقـدُّ المتونا
عقّوا المروءة هدّوا مفاخر الأولينـا
عاثوا فساداً وفرّوا يستعجلون السفينـا
وألبسوا الغرب خزياً في قرنهِ العشرينـا
وألجموا كلَّ داعٍ وأحرجوا المصلحينـا
فيـا اوربّة مهـلاً أين الذي تدَّعينـا
ماذا تريدين منـا والداء أمسى دفينـا
أين الحضارة ؟ إنّا بعيشنـا قد رضينـا
لم نؤذِ في الدهر جاراً ولم نخاتل خدينـا



« مسرّة » الشام إنّا اخوانكم ما حيينا
ثقوا فإنا وثقنـا بكم وجئنا قطينا
إنا نرى فيك عيسى يدعو الى الخير فينـا

قرَّبت بين قلوبٍ　　قد أوشكت ان تبينا
فانت فخر النصارى　　وصاحب المسلمينا
الجريح: رأيت يأس طبيبي　　وهمسةُ في فوآدي
لا تندبيني فاني　　اقضي ونحيا بلادي
العربي: أستودع الله شهماً　　ندباً طويل النجادِ
أستودع الله روحاً　　كانت رجاء البلادِ
فيا شهيداً رمتهُ　　غدراً كرات الأعادي
نم هانئاً مطمئناً　　فلم تنم أحقادي
فسوف يرضيك ثأرٌ　　يذيب قلب الجمادِ

قصيدة شاعر الامير

يا ربِّ أمرُك في الممالك نافذٌ　　والحكم حكمك في الدَّمِ المسفوكِ
ان شئت أهرقهُ وان شئتَ احمِهِ　　هوَ لم يكن لسواك بالمملوكِ
واحكم بعدلك إن عدلك لم يكن　　بالممترى فيهِ ولا المشكوكِ
ألِأجلِ آجالٍ دنت وتهيأت　　قدَّرتَ ضرب الشاطىء المتروكِ
ما كان يحميه ولا يُحمى بهِ　　فُلكانِ أنعم من بواخر «كوكِ»
هذي بجانبها الكسيرِ غريقة　　تهوي وتلك بركنها المدكوكِ

* * *

بيروتُ مات الأسدُ حتف أنوفهم　　لم يشهروا سيفاً ولم يحموكِ
سبعون ليثاً أحرقوا أو أغرقوا　　يا ليتهم قُتلوا على «طبروكِ»
كل يصيدُ الليث وهو مقيدٌ　　ويعزُّ صيد الضيغم المفكوكِ
يا مَضرِبَ الخِيم المنيفة لِلقرى　　ما أنصف العُجْم الأولى ضربوكِ
ما كنت يوماً للقنابل موضعاً　　ولو أنها من عسجدٍ مسبوكِ

بيروتُ يا راحَ النزيل وأنسهُ ... يمضي الزمانُ عليَّ لا أسلوكِ

الحسن لفظٌ في المدائن كلّها ... ووجدته لفظاً ومعنىً فيكِ

نادمت يوماً في ظلالِك فتيةً ... وسموا الملائكَ في جلالِ ملوكِ

يُنسون (حسّاناً) عِصابة (جلّقِ) ... حتى يكادَ بجلّقٍ يفديكِ

تاللهِ ما أحدثتِ شرًّا أو أذى ... حتى تُراعي أو يُراعَ بنوكِ

انت التي يحمي ويمنع عِرضها ... سيف الشريفِ وخنجرُ الصعلوكِ

ان يجهلوكِ فان امّكِ (سوريا) ... والأبلقَ الفردَ الأشمَّ أبوكِ [1]

والسابقينَ الى المفاخر والعُلى ... بلهَ المكارمَ والندَّى أهلوكِ

سالت دماهُ فيكِ حولَ مساجدٍ ... وكنائسٍ ومدارسٍ و « بنوكِ »

كنا نؤملُ ان يمدَّ بقاؤهـا ... حتى تبلَّ صدى القنا المشبوكِ

لكِ في رُبى النيلِ المباركِ جيرةٌ ... لو يقدرون بدمعهم غسلوكِ

يكفيكِ بُرءاً للجراح ومرهماً ... أنَّ الأمير « محمداً » يأسوكِ

لو يستطيع كرامُ مصرَ كرامةً ... « لمحمدٍ » بقلوبهم ضمدوكِ

هو في ابتناء المجد صورة جدّهِ ... أذكرتِ « ابرهيم » في ناديكِ ؟

شوقي



خطبة سعادة الاستاذ احمد زكي باشا

« ان الله يأمر بالعدل والاحسان »

يا سيدي الامير النبيل ، يا زهرة الربيع في روضة النيل ، يا حفيد محمد علي الكبير ، وشريكه في اسمه الجليل وفعله الجميل !

حيّاك الله و بيّاك ! فأنت القدوةُ الصالحة للأكابر في حبّ قومك ، وأنت

[1] عنى الشاعر بالأبلق الفرد جبل لبنان

أنت المتفاني في خدمة العرب بما يفيض من قلبك على قلمك ! نراك تتطوّف الشرق في أقصاه ، وتزور الغرب حتى منتهاه ، ووطنك لا يزال نُصب عينيك لا تنساه . تجوب الآفاق كما تتنقّل الشمس في البروج ، وشعاعك الروحاني متصل على الدوام بهذه الربوع ، بل بما بين الجنوب من القلوب . تلك آثار يراعك ونفثات صدرك ، نراها متمثلة في مثاني السطور ، وفي تضاعيف الطروس التي أملاها وجدانك على بنانك . فجاءت أسفار أسفارك خير آية شاهدة بأنك اذا ابتعدتَ عن مصر ، فلا تزال نفسك تناجيك بمصر ، ولا تزال روحك تحن الى ساكني مصر . تلك عواطف سامية يمنحها الله من يشاء ! ويمنعها عمن يشاء . عواطف شريفة تتجلى بأظهر معانيها حين حلولك في روضة المقياس ، بعاصمة أخيك العباس ، وهل يخفى القمر عن أبصار الناس ؟

فلا غروَ يا مولاي أن جاءتْ هذه الليلة الغرّاء غُرَّةً في جبين الليالي ، فأنت بدرها الذي تسجد له الاهرام والبرابي . لأنك أحييتَ فيها آية من آي الفرقان ، آية عائدة بالخير الحقيقي على المستحقين من بني الانسان :

« ان الله يأمر بالعدل والاحسان »

أيها السادة الكرام :

شكر الله صنيعكم ، ووفقكم لخير أممكم ! فبمثلكم ترفع مصر رأسها بين الأمم ، وفي اجتماعكم هذا معنى شريفٌ لمن ينشُد الوطنية الصادقة ، ولمن يريد أن يتعرّف ما هو التضامن الانساني على وجهه الصحيح .

هذه مصر ، وهذه الشام ! صنوان ، بل توأمان متلازمان ، جمعتهما أواصر السُّلالة والقرابة والجِوار ، ومزجت بينهما لُحمة اللغة والأدب ، وربطتهما ببعضهما الآمال والآلام .

ارجعوا الى التاريخ ، في القديم وفي الحديث ، «ولا يُنبّئكم مثل خبير» . فطالما

كان القطران تحت صولجان واحد ، وطالما كانت الأمتان كجسم علا رأسه في العلا الى السماء ، ووضع إحدى قدميه على قارّة أفريقية ، وأقرّ الاخرى على قارة آسية ! تعاونت الشقيقتان ، في الشدة والرخاء ، ورفعتا معاً منار العرفان ، فاستضاءت بهِ جميع الارجاء .

نعم إن كرسيّ الملك كان في أغلب الاحيان في طيبة ومنف على عهد الفراعنة في الجاهلية الاولى ، ولكنهُ كان ايضاً في دمشق الفيحاء حينما بدا فجر الاسلام ، ثم انتقل الى فسطاط ابن العاص فقطائع ابن طولون فقاهرة المعز لدين الله

فهل من عجيب أن يلتحم القطران بيعضهما آلتحاماً تاماً في الحسّ والمعنى ؟

هكذا بقيت الحال في ايام الفتح العثماني الذي شمل الاختين معاً الى اليوم والى أبد الآباد ، حتى ظهر ابو الرجال ، وسيد الاقيال ، وأمير الابطال ، أعني بهِ محمد علي الكبير والجد الأعلى لمولانا العباس

وهنا أقف موقف الإجلال والإكرام ، وأنحني باحترام أمام ذكرى ذلك الهمام المقدام ، وأستمطر شآبيب الرحمة والرضوان ، على ضريح ذلك الذي استنقذ مصر من مخالب الفوضى وعوامل الخراب ، ثم أحياها ووضع لها قواعد العمران . وسعى حتى جمع بين الشقيقتين تحت الراية العثمانيــة مستعيناً بابراهيم نجله الكبير ، ذلك البطل المغوار ، المستوي فوق صهوة الجواد ، أمام رَدَهة هذه الدار . وها هو لا يزال يشير باصبعــه على الدوام . . . . . الى نحو الشام ! دلالةً على تمام الارتباط والاتحاد في ظلال الهلال .

جاءت قناة السويس على عهد سعيد وتلاقى فيها البحران ، في يوم ولا كمثله يومٌ من أيام اسماعيــل . فكان اتصال الاحمر بالابيض انفصالاً بين بَرَدَى وبين النيل ، وانفصمت تلك العروة الصغرى ، فيما بين الغوطة والدلتا . غير ان ذلك التفريق كان على التحقيق اكبر عامل في جمع القلوب وفي ازدياد الحنين .

فمصر لا تزال ترمق الشام بعيون وامقة ، وقلوب خافقة ؛ وأبناء الشام ينظرون

الى مصر . . . وكأنها لهم أرض الميعاد . فهم اليها يحُجُّون وبها يعتمرون ، وفيها يعمّرون ويعمُرون .

وها هي جاليَتهم قد آستوطنت وادي النيل ، لما تلقاه من الحفاوة التي امتاز بها المصري الكريم ، منذ الزمان القديم .

وكيف لا نقابلهم بهذا الارتياح ، وقد جمعتنا بهم تلك العلائق ، ونحن مجبولون على إكرام كل وافد من الخلائق ، ولو كان بعيد الديار ، وربما كان ممن يُنكر المعروف ويغمط الفضل ويقابل الاحسان بالكفران ؟

لا جَرَمَ أن في فيضان النيل أثراً كبيراً في فيضان القلوب ، وفي فيضان الجيوب . لذلك اشتهر بنو مصر الخصيبة بالاسراع في مدّ يد المعونة الى كل منكوب ، ولو كان ممن لا رابطة له بهم . فانهم مشغوفون بالاحسان – لمجرد الاحسان – الى الانسان ، مهما كان . فهذا لسان الحال لا ينطق عن الهوى ، وهو شاهدُ عدلٍ على ان مصر تتألم لكلّ من يصيبه الأذى أو يحلُّ به الردى . فاذا ما فوجئ الانسان – كائناً ما كان – بقارعة من قوارع الدهر ، سارع أهل مصر الى بذل المعونة بقلوب رحيبة رحيمة ، وأيدٍ مبسوطة كريمة . وكلما دعا الداعي لعملٍ من أعمال البرّ ، كان لصوته في هذا الوادي أقوى صدى ، وتسابقت عشائرنا لتلبيةِ النداء بالندَى

ولا أذهبُ بكم بعيداً في إثبات هذه القضية البديهية . غير انني لا أجد مندوحةً عن ذكر مثالين ، قريبٌ عهدهما ، وقد جئنا في هذه الليلة لنعزّزهما بثالث ، ومعاذ الله ان يكون هو الاخير !

أنا أعتقد اعتقاداً جازماً أن الكثيرين من السادة السامعين وأكثر منهم ممن ليسوا في زمرة الحاضرين ، قد تسابقوا منذ عامين لاغاثة المنكوبين في باريس ، عند ما طغَى نهر السِّين فجعل ذلك الفردوس الأرضي كبحيرة تتلاطم فيها الأمواج . وما ذلك إلاَّ لأن المصريين قد علَّمهم طغيان النيل في بعض الأحايين بما يتبعهُ من الكوارث والنكبات .

كذلك هم أعرف الناس بغوائل النار . ولذا تنافسوا في تلبية الداعي الذي دعاهم لنجدة المنكوبين من أهل صقلية وقَلَوْرِية (كلابريا) من أعمال ايطاليا ، وذلك على إثر ما دهاهم من نوازل الزلازل وثوران البركان ، منذ ثلاثة اعوام من الزمان . وقد بلغت قيمة ما جاد بهِ الخيّرون من اهل مصر عشراتٍ من الوف الجنيهات ، كان لها الأثر الطيّب في تخفيف المصائب عن بني الانسان في تلكم الديار.

ولقد اعترفت حكومة ايطاليا بهذه الأريحية ، فشكرت مصر وأهدتها نَوْطاً من الذهب ، هو الآن محفوظ بدار الكتب الخديوية .

هذان مثالان ناطقان بأن اهل مَصر هم ممن يُدرك معنى التضامن الانساني ، وإن كان بعض الذين لا خَلاق لهم يُنكرون عليهم هذه الخليقة الكريمة .

كيف لا يفقهُ المصريون معنى التضامن الانساني ، وهو متأصل في أخلاقهم منذ ثلاثة عشر قرناً ؟

نعم ، فهذه النظرية الجليلة يظنها قصار النظر من آيات العصر الحاضر ، ومن بدائع الحضارة الغربية . وليت شعري ! ماذا يقول المفتون بأوْرُوبَّة وتعاليمها إذا ما هداه الله الى ما بين يديهِ وتحت عينيهِ من آداب الإسلام ومبادئه في العمران ؟

لا جَرَمَ انهُ يرى في نظامهِ الاجتماعيّ البديع كثيراً من الحكم الباهرة ومن قواعد الأخلاق الجميلة . ولكنهُ قد حيل بينهُ وبين مآثر الاسلاف بحجابٍ ، يا له من حجاب !

في هذه الليلة الباهية ، يجدر بأبناء العرب الكرام ، أنْ يتدبّروا قول النبي عليه الصلاة والسلام ، في الحثّ على بثّ التضامن بين المؤمنين بوجه عام . ودونكم ايها السادة نصّ حديثه المشهور :

« مَثَلُ المؤمنين في توادهم وتراحُمهم كمَثَلِ الجسد ، إذا اشتكى عُضو منهُ تداعى له سائره بالحمى والسهر . » أو كما قال :

هذا هو التضامن !

وقد عرفه الشرقيون منذ اجيال طوال .

هذا هو التضامن الذي جرينا عليهِ مهتدين بسنَّة السلف الصالح !

هذا هو التضامن الذي جمعنا من كل فج عميق ، في هذا الاحتفال الجميل البهيج !!

أيها السادة الكرام

يحلو لي ولكم في هذا المقام ترديد قوله تعالى : « مَثَلُ الذين يُنفقون أموالهم في سبيل الله كَمَثَلِ حَبَّة أنبتتْ سبعَ سنابلَ في كلّ سُنبلةٍ مائة حبة . والله يضاعف لمن يشاء . والله واسعٌ عليم . »

لهذه الحكمة البالغة قد تواصَيْنا بالحقّ وتواصَيْنا بالصبر ، وعقدْنا الخناصر لمساعدة المنكوبين من إخواننا في الشام. ولسنا في حاجةٍ لتزكية عملنا وتبرير سعينا بالأسباب التي قد يتشبَّثُ بها الانسان في إغاثة الانسان . وذلك لأنَّ اتحادنا مع المنكوبين في الأصلِ والسُلالة وارتباطَنا وإياهم بتلك العلائق الكثيرة الثمينة ، يجعلان من أقدس واجباتنا أن نبدأ بالإسعاف لفروع دَوْحتنا وأفراد أُسرَتنا . « والأقربون أولى بالمعروف »

نعم ، فقد تعوّدنا من دهرنا على الإحسان بوجه الاطلاق ، وان كانتْ مَناحينا قد اختلفت فيهِ على ضروبٍ شتى . فمنا من يجنحُ اليه في المعاملات ، وفريقٌ يستهدف اليه في المجاملات ، وآخرون يبتغون وجه الله . « ولكلّ وِجهةٌ هو مولّيها » !

فكيف لا نتسابق الى سبيل الخير ، عند ما يكون أخونا في حاجة ماسّة الى نفحة من نفحات البرّ ؟ ليس المنكوب في بيروت بغريبٍ عنا ، فانَّ الدَّمَ الذي يجري في عروقه هو هو الذي نستمدّ نحن منه الحياة . وكلانا من طينة واحدة ، ومن مشرب واحد ، وأجسامنا تنتعش بروح واحدة ! هذا الى ما أوصانا الله تعالى به من الاحسان الى « ذي القرُبى والجار الجُنُب والصاحب بالجَنْب » . وتلك الصفات الثلاثة قد توفّرت كلها في أبناء الشام ، بالنسبة الى اخوانهم المصريين . فلا عَجَب اذا كنا نشاطرهم الأتراح ، كما نحن نشاركهم في الأفراح . سُنّةٌ قضى

بها التضامن الانساني ، بل هي فريضة أوجبتها قوانين الاجتماع ونواميس العمران . والجار أولى بالشفعة ، والاخ أحقّ بالشفقة !

أئذا كنا نشترك من صميم الفؤاد في تخفيف الكوارث التي حلّت بالأقوام البعيدين ، في الاقطار النائية ، أفيكون من شيَمِنا أن لا نبالي بما ألمّ باخواننا في الشام ، أولئك الذين كانوا آمنين مطمئنين ، في مدينة هادئة ساكنة ، وكانت قرائن الاحوال جميعها تدلّ على أنهُ « لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » ؟

لغيرنا أن يحدّث نفسه بالمرحمة في السرّ والنجوى . واما نحن فقد طفحت قلوبنا بالتألم والشكوى . فلا مندوحة لنا عن المجاهرة بما تكنّهُ جوانحنا لاخواننا من حسن الانعطاف ، الذي يمليه التضامن على كل من أوتيَ مثقال ذرّةٍ من الانصاف.

فان القلوب إذا توائبت في الصدور ، بعثت النفوس الى الجود بالموجود ، وحركت الأيدي الى إخراج المكنوز في الجيوب والبيوت ، لتخفيف المصاب الذي دَهِمَ المساكين من أهل بيروت .

« ان الله يحب العدل والاحسان »

سادتي !

لعلي اكون لسانكم الناطق ، وترجمانكم الصادق ، اذا قلت إنكم تتحدثون الآن بشكر الامير الجليل الذي دفعتهُ عواطفه البارّة بالانسانية لجعل هذه الليلة الشريفة تحت رعايته العالية . أفليس هو الذي أوجد لجمنا المحتشد الآن فرصةً جميله للاعراب عما في نفوسنا من معاني المروؤة العربية ، ومن العطف على قوم هم لدينا من أعزّ الناس ؟

فشكراً لك يا ابا العباس :

مولاي !

إن الذين تبارَوْا في إجابة دعوتك ، واجتمعوا في هذه الساعة حول طلعتك ، يتقدمون الى ساحتك ، وقلوبهم على أكفّهم ، وأيديهم في الجيوب ، ليبرهنوا على

عظيم إخلاصهم وجليل احترامهم لشخصك المحبوب .

ولا تسلْ عما سيكون في بيوت بيروت ؟ هنالك آياتُ الحمد والمدح يرتّلها المغاثون في الغداة والآصال ، تعرّج بها طائفةٌ من الملائكة المقرّبين ، وترفعها الى أعلى علّيّين ، فيتقبّلُها ذو الجلال والاكرام ، الذي وفقك لأعمال الخير وخير الاعمال ، بتصدُّرك في هذا الاحتفال . احتفالٌ فيه « لِلّذين أحسنوافي هذه الدنيا حسنة ولَدَارُ الآخرة خيرٌ ولَنِعْمَ دار المتقين » . « فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً » . « إن الله مع الذين اتقوْا والذين هم محسنون »

احمد زكى

تحية الشآم لمصر

الى مصرٍ أزفُّ عن الشآمِ	تحيات الكرام الى الكرامِ
تحيات يفضّ الحمد منهـا	فمَ النسمات عن عبق الخزامِ
نُدبت لها وجرّأني اعتدادي	باقدار الدعاة على القيـامِ
اذا ما كان معروف وشكر	مبادلة التصافي والوئامِ
فحباً ايها الوطنان اني	وسيط العقد في هـذا النظام
وسيطالعقد... لاعن زهونفس	أقلّ الرأي يُلزمني مقـامي
ولكن عن ولاء بي أكيدٍ	وعن رعيٍ وثيق للذمام
أعرني ثغرَ بيروت ابتساماً	اصغ فرض الجميل من ابتسام
ويا بحراً هنـاك أعرْ ثنائي	نفيس الدرّ ينظم في الكلام
ويا غاباتِ لبنان المفدّى	من الدوح المجدّد والقُدام
أراكِ على الكنانة عاطفات	وقد ذكرت.أميلكِ من غرام؟
أمدّيني بأرواحِ زواكِ	لاقرنها الزكيّ من السلام

* * *

بلادي لا يزال هواكِ مني كما كان الهوى قبل الفطام
اقبل منك حيث رمى الاعادي رغاماً طاهراً دون الرغام
وافدي كل جلمود فتيتٍ وهى بقنابل القوم اللئام
فكيف الشبلُ مختبطاً صريعاً على الغبراء مهشوم العظــام
وكيف الطفل لم يُقتل لذنب وذاتُ الخدر لم تُهتك لذام
لعمر المنصفين أبعد هـذا يلام المستشيط على الملام
لحى الله المطامع حيث حلّت فتلك أشدّ آفات السلام
تشوب الماء وهو أغرُّ صافٍ وتمشي في المشارب بالسقام
أيُقتل آمن ويقال رفقٌ عليك فما حِمامك بالحمام
ستسعد بالذي يشقيك حالاً وتنعم بعد خسف بالمقام
فأما أن تعيش وانت حرٌّ فذاك من التغالي في المرام
واما ان تساهم في المعالي فطائشة بمرماك المرامي
مضى عهد يجار الجـار فيه ويؤخذ للحلال من الحرام
وهـذا العهد ميدان التباري بلا حـدّ الى كسب الحطام
مباح ما تشاء فخذه إمّا بحق الرأي او حقّ الحسام
ولا تكرثك نوحات الثكالى ولا شكوى ضميرك في الظلام



اساتذةَ المطـامع ما ذكرتم هو الناموس يقدم وهو نام
فلا يضعف ضعيفٌ او نراه لناب الليث يصلح في الطعام
فهمنا مأخذ الجاني علينــا واعذار السواسية العظام
وأن بديل عصر كان فيه عجاف القوم ملكاً للضخام
زمان ساد شعب فيه شعباً وأنزله بمنزلة السوام

فقوم من ملوك كيف كانت مراتبهم وقوم من طغام
وبين العنصرين خلافُ نوعٍ على كون الجميع من الأنام
أقول وقد أفاق الشرق ذعراً من الحال الشبيهة بالمنام
على صخب الرواعد في حماه ورقص الموت بين طليً وهام
أقول بصوته لحماةِ دارٍ رماها من بغاةِ الغرب رام :
أباةَ الضيم من عربٍ وتركٍ نسورَ الشم آسادَ الموامي
قرومَ العصرِ فرساناً ورجلاً نجومَ الكرِّ من خلفِ اللثام
بنا مرضُ النعيم فنسّونا وغيٌّ يشفي من الصفوِ العُقام
بنا بردُ المكوث فادفئونا بحمّى الوثبِ حيث الخطب حام
بنا عطلُ السماع فشنّفونا بقعقعة الحديد لدى الصدام
لقد جئتم ببرهانٍ عظيمٍ على انّا نعودُ الى التمام
وأنا ان جهلنا او غلطنا أنفنا ان نعاتب باحتكام
وأنا حيث فاتحنا كذوبٌ بميعاد فطنّا للختام
فان زينت لنا الأقوال عفنا تعاطيها كما كرة المدام



على هذا الرجاء ونحنُ فيهِ نسيرُ موفّقين الى الامام
مثولي رافعاً إجلالَ قومي الى « عباسٍ » الملك الهمام
الى ملك التضامنِ والتآخي عميدِ الشرقِ من بعد « الامام »
وجهري جُهدَ ما تسعُ المعاني بمدح شقيقهِ السنِم المقام
منمّ امارة الأصلِ المعلّى بفضلٍ باذخٍ كالأصلِ سنام
وادعو ان يُعزَّ اللهُ مصراً ويوليها السعودَ على الدوام

خليل مطران